مختار الدعوة

- ٥ -

العقائد

للإمام الشهيد حسن البنا

علق عليها وحقق أصولها

رضوان محمد رضوان

قسم الإلهيات

دار الدعوة
للطبع والنشر والتوزيع
محرم بك — الاسكندرية
ت ٢١٧٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك ربي ! لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك . وصلواتك وتسليماتك على محمد نبيك ورسولك ، وعلى آله وصحبه المجاهدين لإعلاء كلمتك ، الثابرين على نشر شريعتك .

وبعد فقد نشرت « جريدة الإخوان المسلمين »[1] فصولا طريفة شائقة في العقائد الإسلامية ، لفضيلة الأستاذ المجاهد المرحوم الشيخ حسن البنا ، رضي الله عنه ، أتحف بها الأمة الإسلامية ، ولا غرو فهو ابن بجدتها ، وفارس حلبتها . وإليك كلمته ، طيب الله ثراه ، التي صدّر بها تلك الفصول التالية ، قال :

سنقصد في الكتابة على بحوث هذا الفن ، إن شاء الله تعالى ، إلى أمرين أساسيين .

---

(١) « جريدة الإخوان المسلمين » مجلة أسبوعية أصدرتها جمعية « الإخوان المسلمين » في يوم الخميس الثاني عشر من شهر صفر الخير عام اثنين وخمسين وثلثمائة وألف من الهجرة النبوية .

أولهما : الاعتمادُ على طريقةِ القرآنِ الكريمِ ، والرسولِ صلى الله عليه وسلم ، فى توصيلِ العقائدِ الدينيةِ إلى النفوسِ ، واستيلائها على المشاعرِ والقلوبِ ، بدون تعمق فى الألفاظِ ، أو تشعبٍ فى البحوثِ ، أو إيرادٍ للآراءِ والمذاهبِ ، أو خوضٍ فى مصطلحاتِ الفلاسفةِ ، والمناطقةِ ، والكلاميين ، والجدليين . وتلك طريقةُ السلفِ الصالحِ رضوانُ اللهِ عليهم .

وثانيهما : العنايةُ ببيانِ آثارِ هذهِ العقائدِ فى النفوسِ ؛ ليعلم القارئ أين نفسُهُ من درجة استيلاء العقيدةِ الإسلاميةِ عليها ، فإن كانت متأثرةً بها حمِدَ الله على نعمتِهِ ، وإن كانت هذه الآثارُ ضعيفةً فى نفسِهِ عمِلَ على علاجِها ، وتقويةِ إيمانِها ؛ فقد كانت العقائدُ عند أسلافنا عواطفَ مستقرةً فى القلوبِ ، ومشاعرَ مستوليةً على النفوسِ ، فلما أن صارت عندنا جدلاً وكلاماً ، ضعفَ إيمانُ الأمةِ ، وتسربَ إلى دينها الخللُ والوهَن .

وسنتبع ذلك ، عند مناسباتِهِ ، بردِّ الشبهات الحديثةِ ، والاستدلالِ على العقائدِ الإسلاميّةِ ، بالنظريات العصريةِ .

لا على سبيل المزج والاختلاطِ ، ولكن على سبيل الاستئناس والاستنباطِ ؛ تأوّلُ قولَ اللهِ تعالى[1] : « سنُريهم آياتِنا فى الآفاقِ ، وفى أنفسِهم ، حتّى يتبيّنَ لهم أنه الحقُّ »[2] .

أسنِد إلىّ الإشرافُ على إخراجِ هذه العقائدِ وتحقيقِ أصولها ، فلبيتُ مسرورا ، فطالما شُغِلتُ بنشرِها ونشرِ غيرِها من آثارِ فضيلة الأستاذ المؤلف رحمه الله الكثيرة النافعة .

وقد قابلتُ الآياتِ القرآنيّةَ الكريمةَ فى العقائدِ على مصحف الملك فؤاد الأول تغمّده الله برحمتِهِ ، وضبطتُ بعضَ كلماتِها بالحركات ، وقابلتُ الأحاديثَ النبويةَ على « الجامعِ الصحيحِ » للإمام أبى عبد الله محمدِ بن إسماعيلَ البخاريِّ ، و « الجامعِ الصحيحِ » للإمام أبى الحسين مسلم ابن الحجاج القشيريِّ ، و « السنن » للإمام أبى داودَ سليمانَ ابن الأشعث السجستانيِّ ، و « السنن » للإمام أبى عيسى محمد بن عيسى الترمذيِّ وغيرِها ، كما ضبطتُ بعضَ كلماتِ

(١) سورة فصلت آية ٥٣

(٢) إلى هنا انتهى كلامه رحمة الله عليه .

الحديثِ بالحركاتِ . وعلقتُ عليها تعليقاتٍ موجزةً اقتبستُها: من تفسير الإمامين : جلالِ الدين محمد بن أحمد المحلى ، وجلالِ الدين عبد الرحمن بن أبي بكرٍ السيوطي ، وتفسير أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي . ومن شرح البخاري للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ، وشرح مسلمٍ للإمام محيي الدينِ يحيَى بنِ شرفٍ النووي وشرح الترمذي للأستاذ عبدِ الرحمنِ المباركفوري ومن غيرها .

واللهَ أسألُ الإخلاصَ والقبولَ ، وهو حسبي ونعم الوكيلُ .

رضوان محمد رضوان

غرة ربيع الأول سنة ١٣٧١ هـ

مقـــــدمات

١ — تعريف العقائد

العقائد

العقائد : هى الأمورُ التى يجب أن يُصدِّق بها قلبُك ، وتطمئنّ إليها نفسُك ، وتكون يقينا عندك ، لا يمازجُه ريب ، ولا يخالِطُه شك .

٢ — الناس فى درجات الاعتقاد

درجات الاعتقاد

والناس فى قُوةِ العقيدة وضعفِها أقسام كثيرة ، بحسب وضوح الأدلة ، وتمكنها من نفوس كل قسم . ولنوضح لك هذا المقام بضرب المثال الآتى :

لو أن رجلا سمع بوجود بلد لم يرَه ، كاليمن مثلا ، من رجل آخر غيرِ معروفٍ بالكذب فإنه يصدق بوجود هذا البلد ويعتقدُه ، فإذا سمع هذا الخبر من عدّةِ رجالٍ زاد به ثقةً ، وإن كان لا يمنعه ذلك من أن يشك فى اعتقاده إذا عرضت له الشُّبُهات ، فإذا رأى صورته الفتوغرافية زاد اعتقادُه بوجودِه ، وأصبح الشك متعسراً عليه أمامَ قوةِ هذا الدليل ، فإذا سافر وبدت له أعلامُه وبشائرُه زاد

إيقانُه وزالَ شكه ، فإذا نزله ورآه رأى العين ، لم يبق هناك مجالٌ للريبة ، ورسخت فى نفسِه هذه العقيدة رسوخاً قويًّا حتى يكون من المستحيل رجوعه عنها ولو أجمع الناس على خلافها ، فإذا سار فى طرقه وشوارِعه ، ودرسَ شئونَه وأحوالَه ازدَاد به خبرةً ومعرفةً ، وكان ذلك أمراً موضحاً لاعتقاده زائداً عليه .

الناس أمام العقائد

إذا علمت هذا فاعلم أن النـاسَ أمامَ العقائدِ الدينيةِ أقسامٌ كذلك : منهم من تلقاها تلقيناً ، واعتقدها عادة ، وهذا لا يؤمن عليه من أن يتشكك إذا عرضت له الشُّبُهات ؛ ومنهم من نظر وفكَّر فازداد إيمانُه ، وقوى يقينُه ؛ ومنهم من أدام النظَرَ وأعملَ الفِكر ، واستعان بطاعةِ الله تعالى وامتثالِ أمرِه ، وإحسانِ عبادتِه ، فأشرقت بمصابيحُ الهدايةِ فى قلبه ، فرأى بنور بصيرتِه ما أكملَ إيمانَه وأتمَّ يقينَه ، وثبّتَ فؤادَه : « والَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ [1] » .

وإنما ضربنا لك هذا المثل لترقى بنفسك عن مواطِنِ التقليدِ فى التوحيدِ ، وتُعمِلَ الفِكرةَ فى تفهّمِ عقيدتك ،

(١) سورة محمد آية ١٧

وتسعين بطاعةِ مولاكَ فى معرفةِ أصولِ دينِك حتى تصلَ إلى مراتب الرجالِ ، وترقَى فى مدارج الكمال :

قد رشَّحوكَ لأمرٍ لو فَطِنْتَ له
فَارْبأْ بنفسِك أن ترعَى مع الهَمَلِ

٣ — تقدير الإسلام للعقل وحثه على التفكير والنظر

تقدير الإسلام العقل

أساسُ العقائدِ الإسلاميَّة ، ككل الأحكام الشرعية ، كتابُ الله تعالى ، وسنةُ رسولِه صلى الله عليه وسلم .

العقائد وتأييد العقل لها

ويجب أن تعلم ، مع ذلك ، أن كل هذه العقائد يؤيِّدُها العقل ، ويثبتُها النظرُ الصحيحُ ؛ ولهذا شرف الله تعالى العقلَ بالخطابِ ، وجعلَه مناطَ التكليف ، وندَبه إلى البحثِ والنظرِ والتفكيرِ . قال اللهُ تعالى : « قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمواتِ والأرضِ[1] وما تُغْنِي الآيَاتُ والنُّذُرُ عن قومٍ لا يؤمنونَ[2] » . و[illegible] تعالى : « أفلم يَنْظُرُوا إلى السَّماءِ

---

(١) « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » : أى من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى . « وما تغنى الآيات » : أى الدلالات . « والنذر » : أى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم .

(٢) سورة يونس آية ١٠١

فوقَهم[١] كيف بَنَيناها ، وزَيَّناها ، ومالَهَا من فُرُوجٍ . والأرضَ مَدَدْناها ، وألقَيْنَا فيها رَواسِي ، وأنبَتْنا فيها من كل زَوْجٍ بَهيجٍ . تَبْصِرةً وَذِكْرَى لِكلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ . وَنَزَّلنَا من السَّماء مَاءً مباركاً فأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الحَصِيدِ . وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ . رِزْقاً لِلعِبادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بلدةً مَيْتاً ، كَذلكَ الخُرُوجُ[٢] » ، وذم الذين لا يتفكرون ولا ينظرون فقال تعالى : « وكأَيِّنْ من آيةٍ[٣] في السَّموات والأرضِ يمُرُّون عليها وهم عنها مُعْرِضُون[٤] » وطالب الخصوم

---

(١) « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم » : أى نظر اعتبار وتفكر « كيف بنيناها » : أى رفعناها بلا عمد . « وزيناها » بالنجوم « ومالها من فروج » أى شقوق تعيبها « والأرض مددناها » : أى دحوناها « وألقينا فيها رواسى » جبالا تثبتها « من كل زوج » : أى صنف من النبات « بهيج » أى حسن يسر الناظرين « تبصرة » أى فعلنا ذلك تبصيراً منا « وذكرى » تذكيراً « لكل عبد منيب » رجاع إلى طاعتنا « فأنبتنا به جنات » : أى بساتين « وحب الحصيد » : أى وحب النبت المحصود . « والنخل باسقات » : أى طوالا « لها طلع نضيد » متراكب بعضه فوق بعض . « كذلك الخروج » : أى من القبور .

(٢) سورة ق آية ١١ .

(٣) « وكأين من آية » : أى وكم من آية دالة على وحدانية الله تعالى « يمرون عليها » : أى يشاهدونها « وهم عنها معرضون » : أى لا يتفكرون فيها .

(٤) سورة يوسف آية ١٠٥

بالدليل والبرهان حتى فيما هو ظاهر البطلان ؛ تقديراً للأدلة ، وإظهاراً لشرف الحجة . وقد ورد فى الحديث أن بلالا جاء يُؤْذِنُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بصلاة الصبح فرآه يبكى فسأله عن سبب بكائه . فقال : « وَيْحَكَ يا بلالُ ! وما يمنعنى أن أبكيَ وقد أنزلَ اللهُ عَلَيَّ فى هذه الليلة « إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ[1] » . ثم قال : « ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكرْ فيها ! » رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب « التفكر » .

ومن هنا نعلم أن الإسلام لم يحجر على الأفكار ولم يحبس العقول ، وإن أرشدها إلى التزام حدِّها ، وعرفها قلّةَ علمها ، وندَبها إلى الاستزادةِ من معارِفها ، فقال تعالى : « وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً[2] » ، وقال تعالى : « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً[3] » .

---

(١) « لآيات لأولى الألباب » الذين يستعملون عقولهم فى تأمل الدلائل . قال القرطبى : ختم تعالى هذه السورة بالأمر بالنظر والاستدلال فى آياته إذ لا تصدر إلا عن حى قيوم قدير قدوس سلام غنى عن العالمين حتى يكون إيمانهم مستنداً إلى اليقين لا إلى التقليد . سورة آل عمران آية ١٩٠

(٢) سورة الإسراء آية ٨٥

(٣) سورة طه آية ١١٤

٤ — أقسام العقائد الإسلامية

أقسام العقائد الإسلامية

العقائد الإسلامية تنقسم إلى أربعة أقسام رئيسية ، تحت كل قسم منها فروع عدة .

القسم الأول : الإلهيات . وتبحث فيما يتعلق بالإله سبحانه وتعالى من حيث صفاته وأسمائه وأفعاله . ويلحق بها ما يستلزمه اعتقادها من العبد لمولاه .

القسم الثانى : النبوّات . وتبحث فى كل ما يتعلق بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من حيث صفاتهم وعصمتهم ومهمتهم وإلى الحاجة إلى رسالتهم . ويلحق بهذا القسم ما يتعلق بالأولياء رضوان الله عليهم، والمعجزة والكرامة ، والكتب السماوية .

القسم الثالث : الروحانيات . وتبحث فيما يتعلق بالعالم غير المادى : كالملائكة عليهم السلام ، والجن ، والروح .

القسم الرابع : السمعيات . وتبحث فيما يتعلق بالحياة البرزخية ، والحياة الأخروية : كأحوال القبر ، وعلامات القيامة ، والبعث ، والموقف ، والحساب ، والجزاء .

القسم الأول — الإلهيات

١ — ذات الله تبارك وتعالى

ذات الله والعقل البشرى

اعلم يا أخى ، هدانا الله وإياك إلى الحق ، أن ذات الله تبارك وتعالى أكبر من أن تحيطَ بها العقولُ البشريةُ ، أو تدركها الأفكارُ الإنسانيةُ ؛ لأنها مهما بلغت من العلوّ والإدراك محدودة القوةِ ، محصورة القدرةِ . وسنفرد لك بحثاً خاصا إن شاء الله تعالى تعلم منه مبلغ قصور العقل البشرى عن إدراك حقائق الأشياء ، ولكن يكفى أن أذكرك بما نلمسه الآن من أن عقولنا ، من أكبرها إلى أصغرها ، تنتفع بكثير من الأشياء ولا تعلم حقائقها . فالكهربا ، والمغناطيس وغيرهما ، قوى نستخدمها وننتفع بها ولا نعلم شيئاً من حقيقتها ، ولا يستطيع أكبرُ عالم الآن أن يفيدك عنها بشىء ؛ على أن معرفةَ حقائق الأشياء وذواتها لا يفيدنا بشىء ، ويكفينا أن نعرفَ من خواصها ما يعود بالفائدة علينا .

فإذا كان هذا شأننا فى الأمور التى نلمسها ونحسها فما بالك بذات الله تبارك وتعالى ؟! وقد ضل أقوام تكلموا فى ذات الله تبارك وتعالى فكان كلامهم سببا لضلالهم وفتنتهم واختلافهم

لأنهم يتكلمون فيما لا يدركون تحديده ، ولا يقدرون على معرفة كنهه ؛ ولهذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التفكر في ذات الله ، وأمر بالتفكر في مخلوقاته .

التفكر في ذات الله

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن قوماً تفكَّروا في الله عز وجل فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « تَفَكَّرُوا في خَلْقِ اللهِ ، ولا تَتَفَكَّرُوا في اللهِ ، فإنكم لن تَقْدُرُوا قَدْرَهُ » قال العراقى : رواه أبو نُعَيم في الحِلْية بإسنادٍ ضعيفٍ ، ورواه الأصبهانى في الترغيب والترهيب بإسناد أصح منه ، ورواه أبو الشيخ كذلك ، وهو على كل حال صحيح المعنى .

وليس ذلك حجراً على حرية الفكر ، ولا جموداً في البحث ، ولا تضييقا على العقل ، ولكنه عصمةٌ له من التردى في مهاوِى الضلالةِ ، وإبعادٌ له عن معالجة أبحاث لم تتوفر له وسائلُ بحثها ، ولا تحتمل قوتُه ، مهما عظمت علاجَها . وهذه هى طريقة الصالحين من عباد الله العارفين بعظمةِ ذاتِه ، وجلالِ قدرِه . سئل الشبليُّ [١] رحمه الله تعالى

---

(١) هو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلى . قال أبو القاسم القشيرى : بغدادى المولد والمنشأ ، وأصله من أسر وشنة ، صحب الجنيد ومن في عصره وكان نسيج وحده حالا وظرفا وعلماً ، مالكى المذهب ، عاش سبعاً وثمانين سنة ، ومات سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ، وقبره ببغداد . ولما تاب الشبلى في مجلس « خير » النساج أتى دماوند وقال : كنت والى بلدكم فاجعلونى في حل . ومجاهداته في بدايته فوق الحد .

عن الله تبارك وتعالى فقال : هو الله الواحدُ المعروف ، قبل الحدود وقبل الحروف . وقيل ليحيى بن مُعاذٍ[1] : أخبرنى عن الله عز وجل ؟ فقال : إلهٌ واحدٌ . فقيل له : كيفَ هو ؟ فقال : مَلِكٌ قادرٌ . فقيل له : أين هو ؟ فقال : هو بالمِرْصادِ . فقال السائل : لم أسألك عن هذا . فقال : ما كان غير هذا كان صفة المخلوق ، فأما صفته فما أخبرتك عنه .

فاحصر همتك فى إدراك عظمةِ ربِّك بالتفكرِ فى مخلوقاتِه والتمسك بلوازم صفاتِه .

٢ — أسماء الله تبارك وتعالى

أسماء الله الحسنى

إن الخالق المتصرف جلٍ وعلا تعرّف إلى خلقه بأسماء وصفات تليق بجلاله ، يحسن بالمؤمن حفظها تبركا بها ، وتلذذاً بذكرها ، وتعظيما لقدرها . وإليك الحديث الصحيح الذى جمعها ، فنعم المعلِّم حديثُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ونعم المرشِدُ والهادى لسانُ الوحى ، ومشكاةُ النبوةِ .

---

(١) هو أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازى . قال القشيرى : نسيج وحده فى وقته ، له لسان فى الرجاء خصوصاً ، وكلام فى المعرفة ، خرج إلى بلخ وأقام بها مدة ورجع إلى نيسابور ، ومات بها سنة ثمان وخمسين ومائتين . قال أحمد بن عيسى : سمعت يحيى بن معاذ يقول : كيف يكون زاهداً من لا ورع له ، تورع عما ليس لك ثم ازهد فيما لك . وقال يحيى : لا تربح على نفسك بشىء أجل من أن تشغلها فى كل وقت بما هو أولى بها .

عن أبى هريرةَ رضى الله عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « للهِ تسعةٌ وتسعونَ اسماً مائةٌ إلا واحداً[١] لا يحفظها أحدٌ إلا دخلَ الجنّةَ ، وهو وِتْرٌ[٢] يحبُّ الوِتْرَ » رواه البخاريُّ ومسلمٌ . وفى رواية للبخارى « من أحصاها » ورواه التِّرمذيُّ وزاد : هو اللهُ الذى لا إلهَ إلا هو ، الرحمنُ الرحيمُ ، الملِكُ ، القُدُّوسُ ، السلامُ ، المؤمِنُ ، المُهَيْمِنُ ، العزيزُ ، الجبّارُ ، المتكبِّرُ ، الخالقُ ، البارىءُ ، المصوِّرُ ، الغفارُ ، القهّارُ ، الوهّابُ ، الرزّاقُ ، الفتّاحُ ، العليمُ ،

---

(١) قوله صلى الله عليه وسلم « مائة إلا واحداً » قال الحافظ العسقلانى فى شرح البخارى : قال جماعة من العلماء الحكمة فى قوله « مائة إلا واحداً » بعد قوله « تسعة وتسعون » أن يتقرر ذلك فى نفس السامع جمعاً بين جهتى الإجمال والتفصيل ، أو دفعاً لتصحيف الخطى والسمعى .

(٢) قوله صلى الله عليه وسلم « وهو وتر » : أى أنه تبارك وتعالى الواحد الذى لا نظير له فى ذاته ولا انقسام . وقوله صلى الله عليه وسلم « يحب الوتر » قال القرطبى : الظاهر أن الوتر هنا للجنس ؛ إذ لا معهود جرى ذكره حتى يحمل عليه ، فيكون معناه أنه يحب كل وتر شرعه . ومعنى محبته له أنه أمر به وأثاب عليه ، ويصلح ذلك لعموم ما خلقه وترا من مخلوقاته ، أو معنى محبته له أنه خصصه بذلك لحكمة يعلمها . ويحتمل أن يريد بذلك وترا بعينه وإن لم يجر له ذكر . ثم قال بعد كلام : ويظهر لى وجه آخر وهو أن الوتر يراد به التوحيد ، فيكون المعنى إن الله فى ذاته وكماله وأفعاله ، واحد يحب التوحيد ؛ أى أن يوحد ويعتقد انفراده بالألوهية دون خلقه ، فيلتئم أول الحديث وآخره ، والله أعلم .

القابضُ ، الباسطُ ، الخافضُ ، الرافعُ ، المعزُّ ، المذلُّ
السميعُ ، البصيرُ ، الحكَمُ ، العدلُ ، اللطيفُ ، الخبيرُ ،
الحليمُ ، العظيمُ ، الغفورُ ، الشكورُ ، العليُّ ، الكبيرُ ،
الحفيظُ ، المقيتُ ، الحسيبُ ، الجليلُ ، الكريمُ ،
الرّقيبُ ، المجيبُ ، الواسعُ ، الحكيمُ ، الودُودُ ، المجيدُ ،
الباعثُ ، الشّهيدُ ، الحقُّ ، الوكيلُ ، القويُّ ، المتينُ ،
الوليُّ ، الحميدُ ، المحصي ، المبدىء ، المُعيدُ ، المحيي ، المميتُ
الحيُّ ، القيُّومُ ، الواجدُ ، الماجدُ ، الواحدُ ، الصمدُ ،
القادرُ ، المقتدرُ ، المقدِّمُ ، المؤخِّرُ ، الأوّلُ ، الآخِرُ ،
الظاهرُ ، الباطنُ ، الوالي ، المتعالي ، البرُّ ، التوابُ ، المنتقمُ ،
العفوُّ ، الرءوفُ ، مالكُ الملكِ ، ذو الجلالِ والإكرامِ ،
المقسِطُ ، الجامعُ ، الغنيُّ ، المغني ، المانعُ ، الضارُّ ،
النافعُ ، النورُ ، الهادي ، البديعُ ، الباقي ، الوارثُ ،
الرّشيدُ ، الصبُورُ .

معانى بعض هذه الأسماء الكريمة

معانى أسماء الله

« القدُّوسُ » المطهّرُ من العيوبِ . « السّلامُ » الأمان
لخلقِه ، أو هو السالمُ من العيوبِ ، « المؤمِنُ » المصدّقُ
وعدَه لخلقِه والمؤمّنُ لهم من عذابِه . « المهَيمِنُ » المسيطرُ

المتصرِّفُ ، أو الشهيدُ الرقيبُ . « العزيزْ » القاهرُ الغالبُ . « الجبَّارُ » المنفذ لأوامره . « المتكبِّرُ » العالى عن صفات الخلق المتفرِّدُ بصفات عظمتِهِ « البارىء » الخالقُ وهو فى خلق ذى الرُّوح أظهر . يقال : بارىء النَّسَم وخالقُ السموات والأرض . « المُقيتُ » العالمُ العارفُ « الحَسِيبُ » الـكافى لخلقِهِ . « المحْصِى » هو الذى أحصى كل شىء بعلمِهِ فلا يفوته شىء من الأشياء . « البَرُّ » المتعطِّفُ على عباده ببرِّه ولطفهِ . . « المقْسطُ » العادلُ فى حكمه . « الرشيدُ » الذى يرشِدُ الخلق إلى مصالحهم . « الصبور » هو الذى لا يعاجلُ العصاةَ بالانتقامِ منهم .

بحوث تتعلق بأسماء الله الحسنى

١ — الأسماء الزائدة عن التسعة والتسعين

أسماء الله كثيرة

هذه التسعة والتسعون ليست كل ما ورد فى أسماء الله تبارك وتعالى ، بل وردت الأحاديث بغيرها من الأسماء . فقد ورد فى هذا الحديث من رواية أخرى « الحنّانُ » « المنان » « البديع » ، وورد كذلك من أسمائه تعالى « المُغيثُ » ، و « الكفيلُ » ، و « ذو الطَّوْل » ، و « ذو المعارِج » و « ذو الفضْلِ » ، و « الخلاقُ » .

قال أبو بكر بنُ العربىّ فى شرح الترمذىّ حاكيا عن بعضِ أهل العلم : إنه جمع من الكتاب والسنة من أسمائه تعالى ألف اسم . وفى كلام صاحب « المَقصد المجرّد » ما يفيد ذلك ، وأشار إلى ذلك الشوكانى فى « تحفة الذاكرين » ثم قال : وأنهضُ ما ورد فى إحصائها الحديثُ المذكور وفيه الكفاية .

٢ — الأحاديث التى وردت فيها ألفاظ على أنها أسماء لله تعالى على المجاز .

أسماء الله مجازية

ثم اعلم أن بعضَ الأحاديثِ وردتْ فيها ألفاظ على أنها أسماء لله تعالى ، ولكن قرائن الحالِ وأصل الوضع

يدل على غير ذلك ، فاعلم أن ذلك من قبيل المجاز لا الحقيقة ، ومن قبيل تسمية الشيء باسم غيره لعلاقة بينهما أو على تقدير بعض المحذوفات . مثال ذلك الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لاَ تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ » رواه مسلم ، وحديث عائشة رضى الله عنها : « دَعُوهُ يَئِنُّ فَإِنَّ الأَنِينَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى يَرْتَاحُ إِلَيْهِ الْمَرِيضُ » ذكره الجلالُ السيوطىُّ فى الجامع الصغير عن الرافعى وحسّنه ، وليس هو من رواية مسلم ، ولا من حديث أبى هريرة كما يخطىء بعض الناس ، ومنه ما ورد فى إطلاق اسم رمضان على الحق تبارك وتعالى فى بعض الآثار .

فكل هذه لا يراد منها ظواهرُها وحقيقةُ الإطلاق ، بل المقصودُ فى الأول مثلا : فإن الله هو المسبب لحوادث الدهر فلا يصح أن ينسب إلى الدهر شىء ولا أن يسب ويذم[1] ؛ وفى الثانى : فإن الأنين أثر قهر الله تعالى يرتاح إليه المريض . وهكذا فى المعانى التى تدل عليها قرائن الأحوال .

---

(١) وقال النووى فى شرح مسلم : أى لا تسبوا فاعل النوازل فإنكم إذا سببتم فاعلها وقع السب على الله تعالى لأنه هو فاعلها ومنزلها ، وأما الدهر الذى هو الزمان فلا فعل له ، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى .

٣ — التوقيف فى أسماء الله تعالى وصفاته

التوقيف فى أسماء الله

واعلم أن جمهورَ المسلمين على أنه لا يصح أن نطلق على الله تبارك وتعالى اسماً أو وصفاً لم يرد به الشرعُ ، بقصد اتخاذه اسما له تعالى وإن كان يُشعر بالكمال . فلا يصح أن نقولَ : مهندسُ الكون الأعظم ، ولا أن نقولَ مثلا : المديرُ العام لشئونِ الخلقِ ، على أن تكون هذه أسماء أو صفاتٍ له تعالى يصطلح عليها ، ويتفق على إطلاقها عليه تعالى ، ولكنها إن جاءت فى عرضِ الكلام لبيانِ تصرفه تعالى من باب التقريب للأفهام فلا بأس ، والأولى العدولُ عن ذلك تأدبا مع الحق تبارك وتعالى .

٤ — العلمية والوصفية فى هذه الأسماء

العلمية والوصفية فى أسماء الله

وهذه الأسماءُ المتقدمةُ منها علَم واحد وُضع للذاتِ القُدسيةِ وهو لفظ الجلالة : اللهُ ، وباقيها كلها ملاحظ فيها معنى الصفات ؛ ولهذا صح أن تكون أخبارا للفظ الجلالة . وهل هو مشتَقٌّ أو غير مشتق ؟ مسألةٌ خلافيةٌ ، لا يترتب عليها أمرٌ عمليٌّ ، وحسبنا أنْ نعلمَ أنَّ اسمَ الذاتِ هو هذا الاسم المفرد وبقية الأسماء مشربةٌ بالوصفيةِ ، وفى هذا الكفاية .

٥ — خواص أسماء الله الحسنى

خواص أسماء الله

يذكر البعضُ أنّ لكلّ اسم من أسماء الله تعالى، خواصّ وأسراراً تتعلق به على إفاضةٍ فيها أو إيجازٍ ، وقد يتغالى البعضُ فيتجاوزُ هذا القدر إلى زعمٍ أن لكلّ اسم خادماً رُوحانيًّا يخدم من يواظب على الذكر به ، وهكذا ؛ والذى أعلمُه فى هذا ، وفوقَ كلّ ذى علمٍ عليمٌ ، أنّ أسماء الله تعالى ألفاظٌ مشرفةٌ لما فضل على سائر الكلام ، وفيها بركةٌ ، وفى ذكرها ثوابٌ عظيمٌ ، وأن الإنسان إذا واظب على ذكر الله تعالى طهرت نفسُه ، وصفت روحُه ، ولا سيما إذا كان ذكره بحضورِ قلبٍ وفهمٍ للمعنَى . أما ما زاد على ذلك فلم يرد فى كتاب ولا سنة ، وقد نهينا عن الغلوّ فى دين الله تعالى ، والزيادةِ فيه ، وحسبنا الاقتصارُ على ماورد .

٦ — اسم الله الأعظم

اسم الله الأعظم

ورد ذكر اسمِ اللهِ الأعظمِ فى أحاديث كثيرة ؛ منها :

١ — عن بريدةَ رضى الله عنه قال : سمعَ النّبيُّ صلى الله عليه وسلّم رجلا يدعو وهو يقولُ : اللّهمّ إنى أسألُك بأنّى أشهدُ أنك أنتَ اللهُ لا إلهَ إلا أنتَ ، الأحدُ

الصَّمَدُ (١) الذى لم يلِدْ ولم يولَد ، ولم يكن له كُفُوًا أحدٌ قالَ : فقالَ : « والذى نفسى بيدِهِ لقد سأل اللهَ باسمِهِ الأعظم (٢) ، الذى إذا دُعِيَ به أجابَ ، وإذا سُئِلَ به أعطَى » رواه أبو داودَ والتِّرمذىُّ والنَّسائىُّ وابن ماجَهْ . وقال المنذرىُّ : قال شيخنا أبو الحسن المقدسىُّ : هو إسنادٌ لا مطعن فيه ، ولا أعلمُ أنه روى فى هذا الباب حديثٌ أجودُ إسناداً منه . وقال الحافظُ ابنُ حجر : هذا الحديث أرجحُ ماورد فى هذا الباب من حيث السند .

٢ — عن أنسِ بن مالكٍ رضى الله عنه قال : دخلَ النبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلّم المسجدَ ورجلٌ قد صلّى (٣) وهو يدعو ويقول فى دعائِهِ : اللّهمّ لا إله إلا اللهُ ، أنتَ المنّانُ ،

---

(١) « الصمد » : أى المقصود فى الحوائج . « ولم يكن له كفواً أحد » : أى ولم يكن له أحد مكافئاً ومماثلا .

(٢) « لقد سأل الله باسمه الأعظم » قال الطيبي : فيه دلالة على أن لله تعالى اسماً أعظم إذا دعى به أجاب ، وأن ذلك مذكور ههنا ، وفيه حجة على من قال : كل اسم ذكر بإخلاص تام مع الإعراض عما سواه هو الاسم الأعظم ؛ إذ لا شرف للحروف ، وقد ذكر فى أحاديث أخر مثل ذلك وفيها أسماء ليست فى هذا الحديث إلا أن لفظ الله مذكور فى الكل فيستدل بذلك على أنه الاسم الأعظم .

(٣) « دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد ورجل قد صلى » قال النووى قال الخطيب هذا الرجل أبو عياش زيد بن الصامت الأنصارى الزرقى

بديعَ السّمواتِ والأرض ، ذا الجلالِ والإكرام[1] . فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « أتدرون بم دعا اللهَ ؟ دعا اللهَ باسمِهِ الأعظمِ الذى إذا دُعِيَ به أجابَ ، وإذا سُئلَ به أعطَى » رواه أبو داودَ والتّرمذىُّ والنّسائىُّ وابن ماجَهْ .

٣ — عن أسماء بنت يزيدَ رضى الله عنها أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : اسمُ اللهِ الأعظمُ فى هاتين الآيتين « وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ . وفاتحة آلِ عمران : الٓمٓ اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ » رواه أحمد وأبو داودَ والترمذىُّ وابنُ ماجَهْ . وقال الترمذىُّ : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

٤ — عن سعدِ بن مالكٍ رضى الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هل أدلكم على اسمِ اللهِ الأعظمِ ، الذى إذا دُعِيَ به أجابَ ، وإذا سُئِلَ به أعطَى ؟ الدعوةُ التى دعا بها يونُسُ حيث نادَى فى الظلماتِ الثلاثِ : لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، سُبْحَانَكَ ! إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ » . فقالَ رجلٌ : يا رسولَ اللهِ هل كانتْ ليونُسَ

---

(١) «ذا الجلال والإكرام» : أى يا ذا العظمة والكبرياء ، وذا الإكراء لأوليائه .

(٢) « فى الظلمات الثلاث » ظلمة الليل ، وظلمة بطن الحوت ، وظلمة البحر .

خاصة أم للمؤمنين عامةً ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « ألاَ تسمعُ قولَ اللهِ عزّ وجلّ : « فَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ » رواه الحاكم .

فأنت ترَى من هذه الأحاديثِ ومن غيرها أنها لم تعيِّن الاسمَ الأعظمَ بالذاتِ ، وأنّ العلماء مختلفون فى تعيينه لاختلافِهم فى ترجيح الأحاديث بعضها على بعض ، حتى اختلفوا على نحو الأربعين قولا . والذى نأخذُه من هـذه الأحاديث الشريفة ، ومن أقوالِ الثِّقاتِ من رجالِ الملّة أن الاسمَ الأعظمَ دعاء مركبٌ من عدة أسماء من أسمائه تعالى إذا دعا به الإنسانُ ، مع توفر شروط الدعاء المطلوبة شرعا استجاب الله له ، وقد صرحت به الأحاديثُ الشريفةُ فى عِدّة مواضع .

وإذا تقرر هذا فما يدّعيه بعضُ الناس من أنه سرٌّ من الأسرارِ يمنح لبعض الأفراد ، فيفتتحون به المغلّقات ، ويخرقون به العادات ، ويكونُ لهم به من الخواص ما ليس لغيرهم من الناس ، أمرٌ زائدٌ على ما وردَ عن الله ورسوله . وإذا احتج هؤلاء البعض بالآيةِ الكريمة وهى قوله تعالى « قالَ الّذى عنده

علم من الكتابِ أنا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرفُك[1] على القول بأن معنى : « عِندَه علمٌ من الكتابِ » أنه اسمُ اللهِ الأعظمُ ، نقول لهم : قد صرح المفسِّرون بأن ذلك المدعوّ به كان : يا حَيُّ يا قَيُّومُ ، أو : اللهُ لا إلَهَ إلاَّ هو الحَيُّ القَيُّومُ . وادعى بعضُهم أنه سريانى لفظه (آهيا شراهيا) ، وهى دعوَى بغير دليلٍ ، فلم يخرج الأمرُ عما ورد فى الأحاديثِ الصحيحةِ .

وخلاصةُ البحثِ أن بعضَ الناسِ ولعوا بالمعَمَّيات ، وادعاء الخصوصياتِ ، والزيادةِ فى المأثوراتِ ، فقالوا مالم يرد فى كتابٍ ولا سنةٍ ، وقد نهينا عن ذلك نهيا شديداً ، فلنقف مع المأثور .

---

(١) سورة النمل آية ٤٠

صفات الله تعالى

١ — صفات الله تبارك وتعالى فى نظر العقل السليم

صفات الله فى نظر العقل

أنت إذا نظرتَ إلى هذا الكون وما فيه من بدائع الحِكم ، وغرائبِ المخلوق ودقيقِ الصُّنع ، وكبير الإحكام ، مع العظمةِ والاتساع ، والتناسقِ والإبداع ، والتجدّدِ والاختراع ؛ ورأيتَ هذه السماء الصافيةَ بكواكبها وأفلاكها وشموسها وأقمارها ومداراتها ؛ ورأيت هذه الأرضَ بنبَاتها وخيراتِها ومعادِنها وكنوزِها وعناصرِها وموادِّها ، ورأيتَ عالَم الحيوانِ وما فيه من غريبِ الهداية والإلهام ؛ بل لو رأيتَ تركيبَ الإنسانِ وما احتواه من أجهزةٍ كثيرةٍ ، كلّ يقومُ بعملِه ، ويؤدى وظيفتَه ، ورأيتَ عالم البحارِ وما فيه من عجائبَ وغرائب ، وعرفتَ القوَى الكونيةَ وما فيها من حكمٍ وأسرارٍ من كهرباء ، ومغناطيس وأثير ، وراديوم ، ثم انتقلتَ من النظر إلى ذواتِ العالَم وأوصافها ، إلى الروابط والصِّلاتِ فيما بينها ، وكيفَ أنَّ كلا منها يتصلُ بالآخرِ اتصالا محكما وثيقاً بحيث يتألفُ من مجموعها وحدة كونية كلّ جزء منها يخدم الأجزاء الأخرى كما يخدم العضوُ فى الجسم الواحدِ بقيةَ الأعضاء ، لخرجت من كلّ ذلك ، من غيرِ أن يأتيك دليلٌ أو برهانٌ ، أو

وحىٌ أو قرآنٌ ، بهذه العقيدةِ النظريةِ السهلةِ وهى : أن لهذا الكونِ خالقاً صانِعاً مُوجداً ، وأن هذا الصانعَ لابد أن يكونَ عظيماً فوق ما يتصورُ العقلُ البشرىُّ الضعيفُ من العظمةِ ، وقادراً فوقَ ما يفهم الإنسانُ من معانى القدرةِ ، وحيًا بأكملِ معانى الحياةِ ، وأنه مستغنٍ عن كلِّ هذه المخلوقات ؛ لأنه كان قبل أن تكون ، وعليماً بأوسع حدودِ العلم ، وأنه فوق نواميس هذا الكونِ لأنه واضعها ، وأنه قبل هذه الموجودات لأنه خالقُها ، وبعدَها لأنه الذى سيحكم عليها بالعدم ؛ وإجمالا سترى نفسَك مملوءة بالعقيدةِ بأن صانعَ هذا الكون ومدبِّرَه : متصفٌ بكلِّ صفاتِ الكمالِ فوق ما يتصورُها العقلُ البشرىُّ الصغيرُ ، ومنزَّهٌ عن كلِّ صفاتِ النقصِ ؛ وسترى هذه العقيدةَ وحىَ وُجدانِك لوجدانك ، وشعورَ نفسك لنفسك : « فِطْرَةَ اللهِ التى فطرَ النّاسَ عليها لا تَبْدِيلَ لِخلْقِ اللهِ ذلك الدِّينُ القيِّمُ [(١)] » .

ونسوقُ إليكَ بعد هذه المقدمةِ بعضَ غرائبِ الحوادثِ فى هذا الكون ، وسترى أنها ، على قلتها ، بالنسبة لعظمةِ الكونِ وما فيه من دِقةٍ وإحكامٍ ، ستكون كافية لأن تشعرَ فى نفسك بما قدّمتُ لك .

---

(١) سورة الروم آية ٣٠

الملاحظةُ الأولى : هـذا الهواء الذى نـستنشقه مركبٌ من عدةِ عناصرَ ، منها جزءان هامان : جزء صالح لتنفس الإنسان ويُسمّى باصطلاح الـكيمائيين الأوكسجين ، وجزء ضار به ويُسمّى الـكربون . فمن دقائق الارتباط بين وحدات هذا الوجودِ المعجز أن هـذا الجزء الضار بالإنسان يتنفسُه النباتُ وهو نافع له ، ففى الوقت الذى يكون الإنسانُ فيه يستنشقُ الأوكسجين ويطردُ الـكربون يكون النباتُ يعملُ عكسَ هذه العملية ، فيستنشقُ الـكربون ويطرد الأوكسجين . فانظر إلى الرابطةِ التعاونيـةِ بين الإنسان والنبات فى شىء هو أهم عناصرِ الحياة عندهما ، وهو التنفس ، وقل لى ، بعد ذلك ، هل يفعل هذا فى الـكون العظيمِ غيرُ عظيمٍ قادرٍ واسعِ العلمِ ، دقيقِ الحـكمةِ ؟ .

الملاحظة الثانية : أنتَ تأكلُ الطعامَ وهو يتركبُ من عدةِ عناصرَ نباتية أو حيوانية ، يقسمُها العلماءُ إلى مواد زُلاليةٍ ، أو نشَويةٍ ، أو دُهنيةٍ مثلا ، فترى أن الريقَ يهضمُ بعضَ المواد النّشويةِ ، ويذيبُ المواد السكريةَ ونحوَها مما يقبلُ الذوبانَ ، والمعدةَ يهضمُ عصيرُها الموادَّ

الزُّلالية كالّلحم وغيره ، والصفراء المفرزةَ من الكبدِ تهضمُ الدّهنيات ، وتجزّئها إلى أجزاء دقيقة يمكن امتصاصُها ، ثم يأتي البنكرياسُ بعد ذلك فيفرزُ أربعَ عصارات. تتولى كل واحدة منها تتميم الهضم في عنصر من العناصر الثلاثةِ النشوية ، أو الزلاليةِ ، أو الدهنيةِ ، والرابعةُ تحول اللبن إلى جبن . فتأمل هذا الارتباطَ العجيبَ بين عناصر الجسم البشريّ ، وعناصر النبات والحيوان والأغذيةِ التي يتغذى بها الإنسانُ !.

الملاحظة الثالثة : ترى الزهرةَ في النبات فترى لها أوراقاً جميلةً جذّابةً ملونةً بألوانٍ بهجةٍ . فإذا سألت علماء النبات عن الحكمة في ذلك ، أجابوك بأن هذا إغواء للنحل وأشباهه من المخلوقات التي تمتص رحيقَ الأزهارِ لتسقط على الزهرة ، حتى إذا وقفت على عيدانها علقت حبوب اللقاح بأرجلها ، وانتقلت بذلك من الزهرة الذّكَر إلى الزهرةِ الأنثى فيتم التلقيح . فانظر كيف جعلت هذه الأوراقُ الجميلةُ في الزهرة حلقة اتصال بين النبات والحيوان حتى يستخدم النباتُ الحيوانَ في عملية التلقيح الضرورية للإثمار والإنتاج !.

كل ما فى الكون ينبئك بوجودِ حكمةٍ عاليةٍ ، وإرادةٍ ساميةٍ ، وسيطرةٍ قويةٍ ، ونواميسَ فى غايةِ الدقّةِ والإحكام يسير عليها هذا الوجود . وربُّ هذهِ الحكمةِ ، وصاحبُ هذه العظمةِ ، وواضعُ هذه النواميس هو : الله .

وقد أفاضَ القرآنُ فى ذلك ، وفى لفتِ الأنظارِ إلى هذه الحكمِ البارعةِ ، والأسرارِ العاليةِ ، فلا تكاد تخلو سورةٌ من سورهِ من ذكر آلاء الله ونعمه ، ومظاهرِ قدرته وحكمتهِ ، وحثّ الناسِ على تجديدِ النظرِ فى ذلك ، ودوامِ التفكرِ فيه .

قال تعالى : « وَمِنْ آياتهِ[1] أنْ خلقكُمْ من ترابٍ ، ثمّ إذا أنتمْ بشرٌ تنتشرونَ . ومنْ آياتهِ أنْ خلقَ لكم من أنفسكُمْ أزواجاً لِتسكنُوا إليهاَ وَجعلَ بينكُمْ مودةً ورحمةً ؛ إنّ فى ذلكَ لآياتٍ لقومٍ يَتفكّرُونَ . ومنْ آياتهِ خلقُ السمواتِ والأرضِ ، واختلافُ ألسنتِكمْ وألوانكُمْ[2] ؛

(١) « ومن آياته » : أى ومن آيات الله تبارك وتعالى الدالة على قدرته . « ثم إذا أنتم بشر تنتشرون » : أى تنتشرون فى الأرض تتصرفون فيما هو قوام معايشكم .

(٢) « واختلاف ألسنتكم وألوانكم » : أى اختلاف لغاتكم من عربية وعجمية وغيرهما ، واختلاف ألوانكم من بياض وسواد وغيرهما وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة .

إنّ في ذلكَ لآياتٍ لِلعالَمِينَ[١] . ومنْ آياتهِ منامُكمْ بالليلِ والنهارِ ، وابتغاؤكم منْ فَضلِهِ[٢] ؛ إنّ في ذلكَ لآياتٍ لِقومٍ يَسمعونَ . ومنْ آياتهِ يريكمُ البَرْقَ خَوْفاً وَطمعاً[٣] ؛ ويُنزِّلُ منَ السماءِ ماءً فيُحيي بهِ الأرضَ بعدَ موتِها ؛ إنّ في ذلكَ لآياتٍ لِقومٍ يَعقلونَ[٤] » .

وقال تعالى : « اللهُ الذي يُرسلُ الرِّياحَ فَتُثيرُ سَحاباً[٥] فيبسطُهُ في السَّماءِ كيفَ يشاءُ ، وَيجعلُهُ كِسَفاً ، فترى الوَدْقَ يَخرُجُ مِنْ خِلالِهِ ، فإذا أصابَ بِهِ مَنْ يشاءُ مِنْ عِبادِهِ إذا هُمْ يَستَبْشِرُونَ . وإنْ كانوا مِنْ قبلِ أنْ يُنزَّلَ عليهم من قبلِهِ لمُبْلِسِينَ . فانظرْ إلى آثارِ رحمةِ اللهِ كيفَ

---

(١) « إن في ذلك لآيات للعالمين » بفتح اللام وكسرها : أى لذوى العقول وأولى العلم .

(٢) « وابتغاؤكم من فضله » : أى تصرفكم فى طلب المعيشة بإرادته « إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون » : أى سماع تدبر واعتبار .

(٣) « ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا » : أى خوفا للمسافر من الصواعق وطمعا للمقيم فى المطر .

(٤) سورة الروم آية ٢٤

(٥) «فتثير سحابا» : أى تزعجه «ويجعله كسفا» : أى قطعاً متفرقة «فترى الودق» :أى المطر . «يخرج من خلاله» : أى من وسطه . « إذا هم يستبشرون » : أى يفرحون بنزول المطر عليهم . « وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين » : أى لآيسين من نزوله .

يُحْيِي الأرضَ بعدَ موتِها ؛ إنّ ذلكَ لَمحيِ الموتَى ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ[1] » .

وغيرُ ذلكَ كثيرٌ في سورةِ الرَّعْدِ، والقَصَصِ ، والأنبياء ، والنملِ ، وق ، وغيرها من سورِ القرآنِ الكريم .

٢ — مجمل صفات الله في القرآن .

صفات الله في القرآن

أشارت آياتُ القرآنِ الكريمِ إلى بعضِ الصفاتِ الواجبةِ للهِ تعالى ، والتي يقتضيها كمالُ الألوهيةِ . وإليكَ بعضَ هذهِ الآياتِ الكريمةِ :

وجود الله تعالى

١ — قال الله تعالى : « اللهُ الذي رفعَ السمواتِ بغيرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها ، ثُمَّ استوَى على العرشِ ، وسَخَّرَ الشمسَ والقمرَ كلٌّ يجرِي لِأجَلٍ مسمًّى ، يُدَبِّرُ الأمْرَ يُفَصِّلُ الآياتِ لعلَّكُمْ بلقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ . وهُوَ الذي مدَّ الأرْضَ[2] ، وَجعلَ فيها رَوَاسِيَ ، وَأنهارًا ، وَمِنْ كُلِّ الثمراتِ جعلَ فيها زَوْجَيْنِ اثنَيْنِ[3] ، يُغْشِي الليْلَ النَّهَارَ ؛ إنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ

---

(١) سورة الروم آية ٥٠ .

(٢) « وهو الذي مد الأرض » : أي بسطها طولا وعرضاً . « وجعل فيها رواسي » : أي جبالا ثوابت .

(٣) « جعل فيها زوجين اثنين » : أي من كل نوع « يغشي الليل النهار » : أي يغطي الليل بظلمته النهار .

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . وفى الأرضِ قِطَعٌ مُتجاوراتٌ ، وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ ، وزرعٌ ، وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ[1] يُسْقَى بماءٍ واحدٍ ونُفَضِّلُ بعضَها على بعضٍ فى الأُكُلِ[2] إنَّ فى ذلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » . وقال تعالى : « وهُوَ الذى أنشأَ لكم السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ قليلاً ما تشكرونَ ، وهو الذى ذرأَكم[3] فى الأرضِ وإليهِ تُحْشَرُونَ ، وهو الذى يُحْيِي ويُميتُ ، ولهُ اختلافُ الليلِ والنهارِ أفلا تعقلونَ ! »[4] .

فكلُّ هذه الآياتِ تنبئُكَ بوجودِ الله تباركَ وتعالى ، وتستدلُ عليه بما ترى من تصرُّفاتِهِ فى شئونِ هذا الكونِ العجيب .

قدم الله تعالى وبقاؤه

٣٠٢ — قال الله تعالى : « هو الأوّلُ والآخِرُ[5] ، والظاهرُ

---

(١) « ونخيل صنوان وغير صنوان » : جمع صنو وهو : النخلات والنخلتان يجمعهن أصل واحد وتتشعب منه رءوس فتصير نخلا .

(٢) « ونفضل بعضها على بعض فى الأكل » . الأكل: الثمر ، يعنى الحلو والحامض ، وهو من دلائل قدرة الله تعالى . سورة الرعد آية ٤

(٣) « وهو الذى ذرأكم » : أى خلقكم . « واليه تحشرون » : أى تجمعون يوم القيامة للجزاء .

(٤) سورة المؤمنون آية ٨٠

(٥) « هو الأول » : أى قبل كل شىء بلا بداية « والآخر » بعد كل شىء بلانهاية « والظاهر » بالأدلة عليه « والباطن » عن إدراك الحواس .

والباطنُ ، وهو بكلِّ شيء عليم[١] » . وقال تعالى : « ولا تدعُ مع اللهِ إلهاً آخرَ ، لا إله إلّا هو ، كلُّ شيء هالكٌ إلّا وجْهَه ، له الحكمُ وإليهِ تُرْجَعون[٢] » . وقال تعالى : « كلُّ من عليها فانٍ ، ويبقَى وجْهُ ربِّك ، ذو الجلالِ والإكرامِ[٣] » .

وفى هذه الآياتِ الكريمةِ إشارةٌ إلى صِفَتَيِ القِدَمِ ، والبقاء لله تبارك وتعالى .

مخالفة الله للحوادث

٤ — قال الله تعالى : « قل هو اللهُ أحدٌ ، اللهُ الصَّمدُ[٤] لم يَلِدْ ولم يُولَد ، ولم يكن له كُفُوًا أحدٌ[٥] » . وقال تعالى : « فاطِرُ السمواتِ والأرضِ[٦] جعلَ لكم من أنفسِكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً ، يذرؤكم فيه ، ليس كمِثْلِهِ شىءٌ ، وهو السميعُ البصيرُ[٧] » .

---

(١) سورة الحديد آية ٣

(٢) سورة القصص آية ٨٨

(٣) سورة الرحمن آية ٢٧

(٤) « الله الصمد » : أى المقصود فى الحوائج على الدوام .

(٥) « ولم يكن له كفواً أحد » : أى ولم يكن له أحد مكافئاً ومماثلا تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . سورة الإخلاص .

(٦) « فاطر السموات والأرض » : أى خالقهما على غير مثال سبق .
« جعل لكم من أنفسكم أزواجاً » : أى حيث خلق حواء من ضلع آدم .
« ومن الأنعام أزواجا » : أى ذكوراً وإناثا .

(٧) سورة الشورى آية ١١

وفى ذلك إشارة إلى مخالفته تبارك وتعالى للحوادث من خلقه ، ونزهه عن الولد والوالد والشبيه والنظير .

قيام الله تعالى بنفسه

٥ — قال الله تعالى : « يأيها الناسُ أنتم الفقراء إلى اللهِ ، واللهُ هو الغنىُّ الحميدُ[1] » . وقال تعالى : « ما أشهدتُهم خلقَ السمواتِ والأرضِ ولا خلقَ أنفسِهم[2] ، وما كنتُ متخذَ المضلِّينَ عَضُدًا[3] » .

وفى ذلك إشارة إلى قيامه تعالى بنفسه واستغنائه عن خلقِه مع حاجتهم إليه .

وحدانية الله تعالى

٦ — قال الله تعالى : « وقال اللهُ : لاتتَّخِذُوا إلٰهين اثنين إنما هو إلٰهٌ واحدٌ ، فإيَّايَ فارْهَبونِ[4] . وله ما فى السمواتِ والأرضِ ، وله الدِّينُ واصِبًا[5] ، أفغيرَ اللهِ تتَّقون ؟ ! وما بكم من نعمةٍ فمن اللهِ ، ثم إذا مسَّكم الضُّرُّ فإليه

---

(١) سورة فاطر آية ١٥

(٢) « ولا خلق أنفسهم » أى لم أشهد بعضهم خلق بعض . « وما كنت متخذ المضلين عضداً » : أى أعوانا فى الخلق .

(٣) سورة الكهف آية ٥١

(٤) « فإياى فارهبون » : أى خافون دون غيرى .

(٥) « وله الدين واصبا » : أى دائما .

تجأرون[١] » . وقال تعالى : « لقد كفر الذين قالوا : إنّ اللهَ ثالثُ ثلاثةٍ ، وما من إلهٍ إلّا إلهٌ واحدٌ ، وإن لم يَنتهوا عما يقولونَ ليمسّنّ الذين كفروا منهم عذابٌ أليمٌ . أفلا يتوبونَ إلى اللهِ ويستغفرونَه ؟! واللهُ غفورٌ رحيمٌ[٢] » . وقال تعالى : « أم اتّخذوا آلهةً من الأرضِ هم يُنشِرون[٣] . لو كان فيهما آلهةٌ إلا اللهُ لفسدتا ، فسبحانَ اللهِ ربِّ العرشِ عما يصفونَ . لا يُسألُ عما يفعلُ وهم يُسألونَ . أم اتّخذوا من دونِه آلهةً ؟! قل : هاتوا برهانَكم ! هذا ذِكْرُ مَن مَعِي[٤] وذِكرُ مَن قَبْلِي ، بل أكثرُهم لا يعلمونَ الحقَّ فهم مُعرِضونَ . وما أرسلنا من قبلِك من رسولٍ إلّا نوحِي إليه أنّه لا إله إلا أنا فاعبُدونِ[٥] » . وقال تعالى : « قل : لِمَن الأرضُ ومَن فيها إن كنتم تعلمونَ ؟ سيقولون : للهِ ،

---

(١) « فإليه تجأرون » : أي ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون لغيره . سورة النحل آية ٥٣

(٢) سورة المائدة آية ٧٤

(٣) « هم ينشرون » : أي يحيون الموتى ، ولا يكون إلها إلا من يحيي الموتى .

(٤) « هذا ذكر من معي » : أي أمتي وهو القرآن . « وذكر من قبلي » من الأمم وهو التوراة والإنجيل وغيرها من كتب الله تعالى ، ليس في واحد منها أن مع الله إلها مما قالوا ، تعالى الله عن ذلك .

(٥) سورة الأنبياء آية ٢٥

قل أفلا تذكّرون ؟! قل : مَن ربُّ السمواتِ السبعِ وربُّ العرشِ العظيمِ ؟! سيقولونَ : لِلهِ . قل : أفلا تتقونَ ؟! قل : مَنْ بيدهِ ملكوتُ كلِّ شيءٍ[1] وَهو يُجيرُ ولا يجارُ عليه إن كنتم تعلمونَ ؟! سيقولون : لِلهِ . قل : فأنّى تُسْحَرونَ[2] ؟! بل أتيناهم بالحقِّ وإنهم لكاذبونَ . ما اتّخذَ اللهُ مِن ولَدٍ ، وما كان معه من إلٰهٍ ، إذاً لذهبَ كلُّ إلٰهٍ بما خلقَ[3] ولعلا بعضُهم على بعضٍ ، سبحان اللهِ عما يَصِفونَ . عالِمِ الغيبِ والشهادةِ فتعالَى عما يُشْرِكونَ[4] » . وقال تعالى : « قل : الحمدُ لِلهِ ، وسلامٌ على عبادِهِ الذينَ اصطفَى ، آللهُ خيرٌ أمّا يُشْرِكونَ . أمَّنْ خلقَ السمواتِ والأرض ، وأنزلَ لكم مِن السماءِ ماءً فأنبتنا به حدائقَ ذاتَ بهجةٍ[5] ما كان لكم أن تُنْبِتوا شجرَها ، أإلٰهٌ مع اللهِ ؟! بل هم قوم يعدِلونَ .

---

(١) « من بيده ملكوت كل شيء » : أى ملك كل شيء والتاء للمبالغة . « وهو يجير ولا يجار عليه » : أى يحمى ولا يحمى عليه .

(٢) « فأنى تسحرون » : أى تخدعون وتصرفون من الحق وعبادة الله وحده : أى كيف يخيل لكم أنه باطل .

(٣) « إذاً لذهب كل إله بما خلق » : أى انفرد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه « ولعلا بعضهم على بعض » مغالبة كفعل ملوك الدنيا .

(٤) سورة المؤمنون آية ٩٢

(٥) « فأنبتنا به حدائق ذات بهجة » جمع حديقة وهى البستان الذى عليه حائط . والبهجة : الحسن والجمال .

أمّن جعلَ الأرضَ قَراراً[1] ، وجعلَ خِلالَها أنهاراً ، وجعلَ لها رواسِيَ ، وجعلَ بين البحرينِ حاجزاً ، أإلهٌ مع اللهِ ؟! بل أكثرُهم لايعلمونَ ، أمّن يُجيبُ المضطرَّ إذا دعاهُ[2] ، ويكشِفُ السوءَ ، ويجعلُكم خُلَفاءَ الأرضِ[3] ، أإلهٌ مع اللهِ ؟! قليلا ماتذكرونَ . أمن يهديكم فى ظلماتِ البرِ والبحرِ[4] ، ومَن يُرْسِلُ الرّياحَ بُشْرًا بين يدَىْ رحمتِهِ[5] ، أإلهٌ مع اللهِ ؟! تعالى اللهُ عما يشركونَ . أمّن يبدأُ الخلقَ ثم يعيدُه ، ومَن يرزقُكم مِن السماءِ والأرضِ ، أإلهٌ مع اللهِ ؟! قل : هاتوا برهانَكم إن كنتم صادقينَ[٥] » .

إلى غير ذلك من الآياتِ التى تثبتُ أنه تعالى واحدٌ فى ذاتِهِ ، واحدٌ فى صفاتِهِ ، واحدٌ فى أفعالِهِ وتصرفاتِهِ ، لا رب غيرُه ، ولا إله سواه .

---

(١) « أمن جعل الأرض قراراً » : أى لاتميد بأهلها . « وجعل لها رواسى » : أى جبالا أثبت بها الأرض . « وجعل بين البحرين حاجزاً » : أى بين العذب والملح لايختلط أحدهما بالآخر .

(٢) « أمن يجيب المضطر » : أى المكروب الذى مسه الضر .
« ويجعلكم خلفاء الأرض » : أى سكانها يهلك قوما وينشيء آخرين .

(٣) « أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر » : أى يرشدكم إلى مقاصدكم بالنجوم ليلا وبعلامات الأرض نهاراً .

(٤) « ومن يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته » : أى أمام المطر .

(ه) سورة النمل آية ٦٤ .

قدرة الله تعالى

٧ — قال الله تعالى : « يأيها الناسُ إن كنتُم فى ريبٍ من البَعْثِ فإنّا خلقناكُم من ترابٍ ثم من نُطفةٍ[1] ثم من عَلَقةٍ ثم من مُضْغَةٍ مخلَّقةٍ وغيرِ مخلَّقةٍ ، لنبيِّنَ لكم ، ونُقِرُّ فى الأرحامِ ما نشاءُ إلى أجلٍ مُسَمًّى ، ثم نُخرِجُكم طِفلا ، ثم لتبلغوا أشُدَّكم ، ومنكم من يُتَوفَّى ، ومنكم مَن يُرَدُّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ لكيلا يعلمَ من بعدِ علمٍ شيئًا ، وترى الأرضَ هامدةً فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزَّت وربَتْ وأنبتَتْ من كلِّ زوجٍ بهيجٍ ؛ ذلك بأنَّ اللهَ هو الحقُّ ، وأنَّه يُحيي الموتَى ، وأنَّه على كلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأنَّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها ، وأنَّ اللهَ يبعثُ مَن فى القبورِ[2] » .
وقال تعالى : « ما أشهدتُهم خَلْقَ السمواتِ والأرضِ ولا خَلْقَ

---

(١) « فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة » : أى خلقنا آدم عليه السلام من تراب ثم خلقنا ذريته من نطفة من منى « ثم من علقة » أى دم جامد « ثم من مضغة » وهى لحمة قدر ما يمضغ « مخلقة وغير مخلقة » : أى مصورة تامة الخلق وغير تامة الخلق . « ثم لتبلغوا أشدكم » : أى نعمركم لتبلغوا أشدكم ، أى الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة . « ومنكم من يرد إلى أرذل العمر » : أى أخسه من الهرم والخرف . « وترى الأرض هامدة » : أى يابسة لا تنبت شيئا . « فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت » : أى تحركت وارتفعت وزادت . « وأنبتت من كل زوج بهيج » : أى من كل صنف حسن .

(٢) سورة الحج آية ٧

أنفسِهِم ، وما كنتُ مُتَّخِذَ المضلّين عَضُدًا[1] » . وقال تعالى : « ولقد خلقنا السموات والأرضَ وما بينهما فى ستةِ أيامٍ ، وما مَسَّنا من لُغُوبٍ[2] » . وقال تعالى : « وهو الذى مَرَجَ البحرَيْنِ[3] هذا عذبٌ فُراتٌ ، وهذا مِلحٌ أُجاجٌ ، وجعلَ بينهما برزخاً وحِجْرًا محجوراً . وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نَسَبًا وصِهْرًا وكان ربُّك قديراً[4] » . وقال تعالى : « ألم تر أن اللهَ يُزْجِى سحاباً[5] ثم يؤلّف بينَه ، ثم يجعلُه رُكاماً فترى الوَدْقَ يخرجُ من خِلالِه ، ويُنَزِّلُ من السماء من جبالٍ فيها من بَرَدٍ فيصيبُ به مَن يشاء

---

(١) سورة الكهف آية ٥١

(٢) « وما مسنا من لغوب » : أى تعب . سورة ق آية ٣٨

(٣) « وهو الذى مرج البحرين » : أى أرسلهما متجاورين . « هذا عذب فرات » : أى حلو شديد العذوبة . « وهذا ملح أجاج » : أى شديد الملوحة . « وجعل بينهما برزخا » : أى حاجزاً لايختلط أحدهما بالآخر . « وحجراً محجوراً » : أى سترا مستوراً يمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر . « وهو الذى خلق من الماء بشراً » : أى خلق من النطفة إنسانا . قال القرطبى : وفى هذه الآية تعديد النعمة على الناس فى إيجادهم بعد العدم ، والتنبيه على العبرة فى ذلك .

(٤) سورة الفرقان آية ٥٤

(٥) « ألم تر أن الله يزجى سحابا » : أى يسوقه . « ثم يؤلف بينه » : أى يجمعه ليقوى ويتصل ويكثف . « ثم يجعله ركاما » : أى مجتمعا يركب بعضه بعضا . « فترى الودق » : أى المطر .

ويصرفه عن مَن يشاء يكادُ سنا بَرْقه[1] يَذْهَبُ بالأبصارِ ، يقلّبُ اللهُ الليلَ والنهارَ ، إنّ فى ذلك لعبرةً لأولِى الأبصارِ ، واللهُ خلق كلّ دابّةٍ من ماء فنهم من يمشِى على بطنِه ، ومنهم من يمشِى على رجلَيْن ، ومنهم من يمشِى على أربعٍ ، يخلقُ اللهُ ما يشاء ؛ إنّ اللهَ على كلّ شىء قديرٌ[2] » .

إلى غير ذلك من الآياتِ الدالةِ على عظيمِ قدرتِه تبارك وتعالى وباهرِ عظمتِه . .

إرادة الله تعالى

٨ — قال الله تعالى : « إنما أمرُهُ إذا أرادَ شيئاً أنْ يقولَ لَهُ كُنْ فيكونُ »[3] وقال تعالى : « وإذا أردنا أنْ نُهلِكَ قريةً أمَرْنَا مُتْرَفِيها[4] فَفَسَقوا فيها فحقّ عليها القولُ فدَمَّرْناها تدميرا[5] » . وقال تعالى حكاية عن الخضِر فى قصّتِه مع

---

(١) « يكاد سنا برقه » : أى لمعان برقه « يذهب بالأبصار » الناظرة إليه : أى يخطفها « يقلب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة » : أى دلالة « لأولى الأبصار » : أى لأصحاب البصائر على قدرة الله تعالى .

(٢) سورة النور آية ٤٥

(٣) سورة يس آية ٨٢

(٤) « أمرنا مترفيها » : أى منعميها بمعنى رؤسائها أى أمرناهم بالطاعة على لسان رسلنا . « فحق عليها القول » : أى بالعذاب « فدمرناها تدميراً » : أى أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها .

(٥) سورة الإسراء آية ١٦

موسى عليهما السلام : « فأَرَادَ رَبُّكَ أن يبلغَا أشُدَّهُما[1] ويستَخْرِجَا كَنْزَهُما رحمةً من ربِّكَ ، وما فعلتُهُ عن أمْرِى ، ذلكَ تأْوِيلُ مَا لم تَسْطِعْ عليهِ صبرًا »[2] . وقال تعالى : « يريدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لكم[3] ، وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قبلكم ، ويتوبَ عليكم ، واللهُ عليمٌ حكيمٌ . واللهُ يريدُ أن يتوبَ عليكم ويريدُ الذينَ يتَّبعون الشهواتِ أنْ تميلوا ميلاً عظيما . يريدُ اللهُ أنْ يُخفِّفَ عنكم وَخُلِقَ الإنسانُ ضعيفا »[4] .

إلى غير ذلك من الآياتِ الكريمةِ التى تشيرُ إلى إثباتِ إرادةِ الله تعالى وأنها فوقَ كلِّ إرادةٍ ومشيئةٍ . « وَمَا تشاءونَ إلاَّ أنْ يشاء اللهُ[5] » .

علم الله تعالى

٩ — قال الله تعالى : « الحمدُ للهِ الذى لهُ ما فى السمواتِ وما فى الأرضِ ولهُ الحمدُ فى الآخرةِ وهوَ الحكيمُ الخبيرُ .

---

(١) « فأراد ربك أن يبلغا أشدهما » : أى إيناس رشدهما . « ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبراً » : أى تطق صبراً عليه .

(٢) سورة الكهف آية ٨٢

(٣) « يريد الله ليبين لكم » : أى شرائع دينكم ومصالح أمركم . « ويهديكم سنن الذين من قبلكم » : أى طرائق الذين من قبلكم من الأنبياء فى التحليل والتحريم لتتبعوهم .

(٤) سورة النساء آية ٢٦

(٥) سورة الدهر آية ٣٠

يعلمُ مايَلِجُ فى الأرضِ[1] ، وما يخرجُ منها ، وما ينزلُ مِنَ السماء وما يعرُجُ فيها ، وهو الرحيمُ الغفورُ » . وقال تعالى : « يعلمُ ما فى السمواتِ والأرضِ ويعلمُ ما تُسِرُّونَ وما تُعلِنونَ واللهُ عليمٌ بذاتِ الصُّدورِ »[2] . وقال تعالى حكاية عن لقمان فى وصيته لابنه : « يا بُنَىَّ إنَّها إنْ تَكُ مِثقالَ حبَّةٍ من خَرْدَلٍ فتكنْ فى صخرةٍ أوْ فِى السمواتِ أو فى الأرضِ يأْتِ بها اللهُ ، إنَّ اللهَ لطيفٌ خَبِيرٌ »[3] . وقال تعالى فى حكاية ما وقع بين شُعَيبٍ وقومهِ : « قال الملأ الذين استكبروا من قومهِ : لَنُخْرِجَنَّكَ ياشُعَيبُ والذينَ آمنوا معكَ من قريتنا أو لتعودُنَّ فى مِلَّتِنا . قال أَوَلَوْ كُنَّا كارهينَ ! قد افترَيْنَا عَلَى اللهِ كذِباً إنْ عُدْنا فِى مِلَّتِكُمْ بعدَ إذْ نَجَّانَا اللهُ مِنها ، وما يكونُ لنا أن نعودَ فيها إلا أن يشاء اللهُ رَبُّنَا ، وَسِعَ رَبُّنا كلَّ شيء عِلما ، عَلَى اللهِ توكلنا

---

(١) « يعلم مايلج فى الأرض » : أى يدخل فيها من ماء وغيره . « وما يخرج منها » أى من نبات وغيره « وما ينزل من السماء » من رزق وغيره . « وما يعرج فيها » أى يصعد فيها من الملائكة وأعمال العباد . سورة سبأ آية ٢

(٢) « والله عليم بذات الصدور » : أى بما فيها من الأسرار والمعتقدات . سورة التغابن آية ٤

(٣) سورة لقمان آية ١٦

ربنا افتح بيننا وبينَ قومنا بالحق[1] وأنتَ خيرُ الفاتحينَ »

وقال تعالى : « ألمْ ترَ أنَّ اللهَ يعلمُ مافى السموات ومافى الأرض مايكونُ مِنْ نجوَى ثلاثةٍ إلا هو رابعُهم[2] ، ولا خمسةٍ إلا هوَ سادسُهم ، ولا أدنَى من ذلك ولا أكثرَ إلا هوَ معهم أينما كانوا ، ثم ينبئهم بما عملوا يومَ القيامةِ ؛ إنَّ اللهَ بكلِّ شيء عليم »[3] . وقال تعالى : « وما تكونُ فى شأنٍ وما تتلوا منهُ مِنْ قرآنٍ ، ولا تعملونَ مِنْ عملٍ إلا كنَّا عليكم شهودا[4] إذْ تفيضونَ فيه ، وَمَا يعزُبُ عن ربِّكَ مِنْ مثقالِ ذرَّةٍ فِى الأرضِ ولا فى السماء ، ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبرَ إلا فى كتابٍ مُبينٍ »[5] .

إلى غيرِ ذلك من الآياتِ الكثيرةِ الدالةِ على سَعَةِ عِلمِهِ تبارك وتعالى ، وإحاطتِه بكل شيء ، قلَّ أو كثر ، دقَّ أو عظُم .

---

(١) « وبنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق » : أى احكم . سورة الأعراف آية ٨٨

(٢) « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » : أى بعلمه .

(٣) سورة المجادلة آية ٧

(٤) « إلا كنا عليكم شهوداً » : أى لعلمه . « إذ تفيضون فيه » : أى تأخذون فيه . « وما يعزب عن ربك » : أى يغيب .

(٥) سورة يونس آية ٦١

حياة الله تعالى

١٠ — قال الله تعالى : « اللهُ لا إله إلا هو الحيُّ القيُّوم»(١) لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ ، لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ(٢) » . وقال تعالى : « الم اللهُ لا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الحيُّ القيُّومُ ، نَزَّلَ عليكَ الكتابَ(٣) بالحقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يديهِ وأنزلَ التَّوْرَاةَ والإنجيلَ مِنْ قَبْـلُ هُدًى للناسِ ، وأنزلَ الفُرْقانَ »(٤) . وقال تعالى : « اللهُ الذى جعلَ لكمُ الأرضَ قراراً ، والسماء بِناء ، وصَوَّرَكم فأَحْسَنَ صُوَرَكم ، وَرَزَقَكمْ مِنَ الطَّيِّباتِ ، ذٰلِكم اللهُ رَبُّكمْ ، فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالمينَ . هُوَ الحيُّ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ ، فادْعُوهُ مُخْلِصِين لهُ الدِّينَ ، الحمدُ لِلهِ رَبِّ العَالمينَ »(٥) .

إلى غيرِ ذلك من آياتٍ كثيرةٍ تدل على أن الله تبارك وتعالى مُتَّصِفٌ بالحياةِ الكاملةِ التى ليس ثَمَّ أكمل منها .

---

(١) « القيوم » : أى القائم بتدبير خلقه . « لاتأخذه سنة » السنة بكسر السين : النعاس .

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥

(٣) « نزل عليك الكتاب » : أى القرآن « مصدقا لما بين يديه » : أى لما قبله من الكتب المنزلة . « وأنزل الفرقان » : أى الكتب الفارقة بين الحق والباطل .

(٤) سورة آل عمران آية ٤

(٥) سورة غافر آية ٦٥

سمع الله تعالى وبصره

١١، ١٢ — قال الله تعالى : « قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ [١] فِي زَوْجِهَا ، وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ ، وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ؛ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ » . وقال تعالى : « أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى ! أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ! أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ! أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى ! [٢] » . وقال تعالى لموسى وهارون حين أرسلهما إلى فرعون : « اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى . فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى . قَالَا : رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا [٣] أَوْ أَنْ يَطْغَى . قَالَ : لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى » . وقال تعالى : « يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ [٤] وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ، إِنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [٥] » .

(١) « قد سمع الله قول التي تجادلك » : أي تراجعك « والله يسمع تحاوركما » : أي تراجعكما . سورة المجادلة آية ١

(٢) سورة العلق آية ١٤

(٣) « قالا : ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا » : أي يعجل بالعقوبة . « أو أن يطغى » علينا : أي يتكبر . سورة طه آية ٤٦ .

(٤) « يعلم خائنة الأعين » : أي مسارقتها النظر إلى محرم . « وما تخفي الصدور » : أي القلوب .

(٥) سورة غافر آية ٢٠

إلى غير ذلك من الآيات التى تدلُّ على اتصافه تبارك وتعالى بالسمع والبصر .

كلام الله تعالى

١٣ — قال الله تعالى : « وكلّمَ اللهُ موسى تكليماً[1] »
وقال تعالى : « أفتطمعُونَ أنْ يؤمنُوا لكم وقد كان فريقٌ منهم يَسْمَعُونَ كلام[2] اللهِ ثم يُحَرِّفُونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمونَ[3] » .

إلى غير ذلك من الآيات التى تدلُّ على اتصافهِ تبارك وتعالى بصفة الكلام .

صفات الله لا تتناهى

وصفاتُ اللهِ تبارك وتعالى فى القرآن الكريم كثيرةٌ ، وكمالاتهُ تبارك وتعالى لا تتناهَى ، ولا تدركُ كُنْهَهَا عقولُ البشر ، سبحانَهُ لا نحصى ثناء عليه هو كما أثنَى على نفسِه .

بين صفات الله وصفات الخلق

صفات الله وصفات الخلق

والذى يجب أن يتفطّنَ له المؤمنُ أن المعنى الذى يُقْصَدُ باللفظِ فى صفاتِ الله تبارك وتعالى يختلفُ اختلافاً كليًّا عن المعنى الذى يقصد بهذا اللفظ عينه فى صفاتِ المخلوقين .

---

(١) سورة النساء ١٦٤

(٢) « يسمعون كلام الله » : أى التوراة . « ثم يحرفونه » : أى يغيرونه . « من بعد ما عقلوه » : أى فهموه .

(٣) سورة البقرة آية ٧٥

فأنتَ تقولُ : الله عالمٌ والعلمُ صفة لله تعالى ، وتقولُ : فلانٌ عالمٌ والعلمُ صفة لفلان من الناس ، فهل ما يقصدُ بلفظة العلم في التركيبين واحد ؟ حاشا أن يكون كذلك ؛ وإنما علم الله تبارك وتعالى علم لا يتناهى كماله ولا يُعَدُّ علمُ المخلوقين شيئاً إلى جانبه . وكذلك الحياة ، وكذلك السمع ، وكذلك البصر ، وكذلك الكلام ، وكذلك القدرة والإرادة . فهذه كلها مدلولاتُ الألفاظِ فيها تختلفُ عن مدلولاتها في حق الخلقِ من حيثُ الكمالُ والكيفيةُ اختلافاً كلياً ؛ لأنه تبارك وتعالى لا يشبه أحداً من خلقه . فتفطن لهذا المعنى فإنه دقيق . ولستَ مطالباً بمعرفةِ كُنهِها ، إنما حسبُك أن تعلم آثارَها في الكون ولوازمَها في حقك . واللهَ نسألُ العصمةَ من الزللِ وحسنَ التوفيقِ .

الأدلة العقلية والمنطقية على إثبات صفات الله تعالى

صفات الله والعقل

يعمد علماء العقائد إلى إثباتِ صفاتِ الله تبارك وتعالى بأدلةٍ عقليةٍ ، وأقيسةٍ منطقيةٍ ؛ ونحن نقولُ : إن ذلك حسنٌ ؛ لأن العقلُ أساسُ المعرفةِ ، ومناطُ التكليفِ ، وحتى لا يكونَ في نفسِ أحدٍ أثرٌ من آثارِ الشُّبُهاتِ والأباطيلِ ؛ ولكن الأمرَ أوضحُ من ذلك ، ووجودُ الخالقِ تبارك

وتعالى وإثباتُ صفاتِ الكمالِ المطلقِ له صار فى حكم البدهيات التى لا يُحتاجُ فى إثباتِها إلى دليلٍ أو برهانٍ ، ولا يطالِب بالدليـلِ عليها إلا كلٌّ مكابِرٍ مريضِ القلبِ لا يُجْدِيهِ دليلٌ ، ولا تنفع معه حُجّةٌ ؛ ومع هذا فتتميماً للفائدةِ نذكر بعضَ الأدلةِ العقليةِ الإجماليةِ والتفصيليةِ ، فنقولُ :

الدليل الأول : هذا الوجودُ الذى يدل بعظمتِه وإحكامِه على وجودِ خالقِه وعظمتِه وكمالِه .

الدليل الثانى : أن فاقدَ الشىء لا يعطيه ، فإذا لم يكن موجِدُ هذا الكونِ متصفاً بصفاتِ الكمالِ فكيف تكونُ آثارُ هذه الصفات فى مخلوقاتِه .

الدليل الثالث ، وهو خاصٌّ بأن هذا الخالقَ واحدٌ لا يتعدد : أن التعدُّد مدعاةُ الفسادِ والخلافِ والعلوِّ ولا سيما وشأنُ الألوهيةِ الكبرياء والعظمةُ ؛ وأيضاً فلو استقل أحدُ المتعددين بالتصرفِ تعطلتْ صفاتُ الآخرين ، ولو اشتركوا تعطلت بعضُ صفاتِ كل منهم ، وتعطيلُ صفات الألوهيةِ يتنافَى مع جلالِها وعظمتِها ، فلا بد أن يكون الإله واحداً لا رب غيره .

هذه نماذجُ من الأدلةِ المنطقيةِ على وجـودِ الخالقِ ، وإثباتِ صفاتِهِ . ومن أراد الاستيعابَ فعليه بالمطولاتِ .

على أن الأمرَ مركوزٌ فى فِطَرِ النفوسِ الصافيةِ ، مستقِرٌّ فى أعماقِ القلوبِ السليمةِ « وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ » .

سؤال يقف أمامه كثير من الناس

دفع الخواطر والوسوسة

وردَ فى حديثٍ عن أبى هريرةَ رضى الله عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزالُ الناسُ يتساءلونَ حتى يُقالَ هذا : خلقَ اللهُ الخلقَ فمَن خلقَ اللهَ ؟ فمَن وجدَ مِن ذلك شيئاً فليَقل : آمنتُ باللهِ[1] » رواهُ مسلمٌ .

وهذا السؤالُ وإن كان خطأً من أساسِه ؛ لأننا أُمرنا ألّا نبحثَ فى ذاتِ اللهِ تبارك وتعالى ؛ لأن عقولَنا القاصرةَ التى

---

(١) قال الإمام المازرى : ظاهر الحديث أنه صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يدفعوا الخواطر بالإعراض عنها والرد لها من غير استدلال ولا نظر فى إبطالها . قال : والذى يقال فى هذا المعنى أن الخواطر على قسمين فأما التى ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة طرأت فهى التى تدفع بالإعراض عنها وعلى هذا يحمل الحديث ، وعلى مثلها ينطلق اسم الوسوسة ، فكأنه لما كان أمراً طارئاً وبغير أصل دفع بغير نظر فى دليل ، إذ لا أصل له ينظر فيه . وأما الخواطر المستقرة التى اجتلبتها الشبهة فإنها لا تدفع إلا بالاستدلال والنظر فى إبطالها ، والله أعلم .

تعجز عن إدراك حقيقة نفسها تعجزُ من باب الأولى ، عن إدراكِ حقيقةِ ذاتِ اللهِ تبارك وتعالى ، إلا أنه يختلج في نفوسِ بعضِ الناس ، ونريدُ أن نوضّحَ لهم الجوابَ عليه بمثالٍ يريحُ ضمائرَهم ، إن شاء اللهُ تعالى ، فنقول :

إذا وضعتَ كتاباً على مكتبِك ثم خرجتَ من الحجرة وعدتَ إليها بعد قليل فرأيت الكتابَ الذى تركتَه على المكتبِ موضوعاً فى الدرج فإنك تعتقدُ تماماً أن أحداً لا بد أن يكون قد وضعه فى الدرج ؛ لأنك تعلم من صفاتِ هذا الكتاب أنه لا ينتقل بنفسِه . احفظ هذه النقطة وانتقل معى إلى نقطةٍ أخرى : لو كان معك فى حجرةِ مكتبِك شخص جالسٌ على الكرسىِّ ثم خرجتَ وعدتَ إلى الحجرةِ فرأيتَه جالساً على البساطِ مثلا فإنك لا تسألُ عن سببِ انتقالهِ ، ولا تعتقدُ أنَ أحداً نقله من موضعِه ؛ لأنك تعلم من صفاتِ هذا الشخصِ أنه ينتقلُ بنفسِه ولا يحتاج إلى من ينقله . احفظ هذه النقطة الثانية ثم اسمع ما أقولُ لك : لما كانت هذه المخلوقاتُ مُحْدَثَةً ونحن نعلم من طبائعِها وصفاتِها أنها لا توجدُ بذاتِها بل لابد لها من موجِدٍ ، عرفنا أن موجِدَها هو الله تبارك وتعالى ؛ ولما كان كمالُ الألوهيةِ يقتضى عدم احتياج الإله إلى غيرِه ، بل إن من صفاتِه قيامَه

بنفسه ، عرفنا أن الله تبارك وتعالى موجود بذاته وغير محتاج إلى من يوجده . وإذا وضعت النقطتين السابقتين إلى جانب هذا الكلام ، اتضح لك هذا المقام ، والعقل البشرى أقصر من أن يتورط فى أكثر من ذلك . والله نسأل العصمة من الزلل ؛ إنه رءوف رحيم .

وإليك أقوال علماء الأوربيين فى إثبات وجود الله تعالى والإقرار بكمال صفاته ، والله ولى توفيقنا وتوفيقك :

كلام العلماء الطبيعيين فى إثبات وجود الله وصفاته

الطبيعيون ووجود الله

قدمنا لك أن هذه العقيدة فطرية فى النفوس السليمة ، مستقرة فى الأذهان الصافية ، تكاد تكون من بدهيات المعلومات تؤيدها نتائج العقول جيلا بعد جيل ، ولذلك اعتقدها علماء الكون من الأوربيين وغيرهم وإن لم يتلقوها عن دين من الأديان ؛ وسننقل لك بعض شهاداتهم ، لا تأييداً للعقيدة ، ولكن إثباتاً لاستقرارها فى النفوس ، وقطعاً لألسنة الذين يريدون أن يتحللوا من عقدة العقائد ، ويخادعوا ضمائرهم وأرواحهم بالباطل !

١ — قال ديكارت العالم الفرنسى :

شهادة ديكارت

« إنى مع شعورى بنقص ذاتى أحس فى الوقت نفسه

بوجوبِ وجودِ ذاتٍ كاملةٍ ، وأرَاني مضطرًّا للاعتقادِ بأن هذا الشعورَ قد غرسَتْه في ذاتِي تلك الذاتُ الكاملةُ المتحليةُ بجميعِ صفاتِ الكمالِ ، وهي : اللهُ » .

فهو يثبتُ في كلامِه هذا ضعفَ نفسِه ونقصَها ، ووجودَ اللهِ وكمالَه ، ويعترفُ بأن شعورَه وإحساسَه هبةٌ من اللهِ له وفِطْرةٌ فيه « فِطْرَةَ اللهِ التي فطرَ الناسَ عليها[1] » .

٢ — وقال إسحاق نيوتن العالِم الإنجليزيُّ الشهير ، ومكتشفُ قانونِ الجاذبيةِ :

شهادة إسحاق نيوتن

«لاتشكوا في الخالِقِ فإنه مما لايعقلُ أن تكون المصادفاتُ وحدَها هي قائدةَ هذا الوجودِ » .

٣ — وقال هرشل الفلكيّ الإنكليزيّ :

شهادة هرشل

« كلما اتسع نطاقُ العِلمِ ازدادت البراهينُ الدامغةُ القويةُ على وجودِ خالقٍ أزليّ لاحد لقدرتِه ولا نهاية ؛ فالجيولوجيونَ والرياضيونَ ، والفلكيونَ ، والطبيعيونَ قد تعاونوا على تشييدِ صرحِ العلمِ ، وهو صرحُ عظمةِ اللهِ وحدَه » .

٤ — وقال لينيه ، كما نقله عنه كاميل فلاماريون الفرنسيُّ في كتابِه المسمّى « اللهُ في الطبيعة » :

---

(١) سورة الروم آية ٣٠

شهادة لينيه

« إنّ اللهَ الأزليَّ الأبديَّ العالِمَ بكل شيء والمُقتدِرَ على كل شيء ، قد تجلّى لِي بِبدائعِ صُنْعِهِ حتى صرتُ مندهشاً مبهوتاً ؛ فأيُّ قدرةٍ وأيُّ حِكمةٍ وأيُّ إبداعٍ أبدعَه في مصنوعاتِه ! سواءٌ في أصغرِ الأشياء أو أكبرِها ! إن المنافعَ التي نستمدُّها من هذِه الكائناتِ تَشهدُ بعظمةِ رحمةِ اللهِ الذي سَخّرَها لنا ، كما أنَّ كمالَها وتناسُقَها ينبئُ بواسعِ حِكمتِه ، وكذلك حفظُها عنْ التلاشِي وتجدُّدها يقرُّ بجلالتِه وعظمتِه » .

شهادة هربرت سبنسر

٥ — ويقول « هربرت سبنسر الإنجليزيُّ » في هذا المعنى في رسالته في التربية :

« العِلمُ يناقضُ الخرافاتِ ، ولكنهُ لا يناقضُ الدِّينَ نفسَه : يوجدُ في شيء كثيرٍ من العِلمِ الطبيعيِّ الشائعِ روحُ الزندقةِ ، ولكن العلمَ الصحيحَ الذي فاتَ المعلوماتِ السطحيةَ ، ورسبَ في أعماقِ الحقائقِ ، براء من هذه الرُّوحِ . العلمُ الطبيعيُّ لا ينافي الدينَ ، والتوجُّهُ للعِلمِ الطبيعيِّ عِبادةٌ صامتةٌ[1] واعترافٌ صامتٌ بنفاسةِ الأشياء التي تعاينَ وتدرسُ ، ثم بقدرةِ خالقِها ، فليس ذلك التوجهُ تسبيحاً شفهياً ، بل هو

(١) ولقد أشارت الآية الكريمة إلى ذلك في قول الله تعالى : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » المؤلف .

تسبيحٌ عمليٌّ ، وليس باحترام مُدَّعًى ، إنما هو احترا
أثمرتهُ تضحيةُ الوقتِ والتفكير والعمل. وهذا العلمُ لايسلك
طريقَ الاستبداد فى تفهيم الإنسانِ استحالةَ إدراكِ السببِ
الأوّلِ وهو « اللهُ » ، ولـكنهُ ينهجُ بنا النّهجَ الأوضحَ
فى تفهيمنا الاستحالةَ ، بإبلاغِنا جميعَ أنحاءِ الحدودِ التى
لايستطاعُ اجتيازُها ، ثم يقفُ بنا ، فى رِفْقٍ وهوادةٍ ،
عند هذه النهايةِ ؛ وهو بعد ذلك يُرِينا بكيفيةٍ لا تعادَلُ
صِغَرَ العقلِ الإنسانىِّ إزاءَ ذلك الذى يفوتُ العقلَ ... »
ثم أخذَ يضربُ الأمثلةَ على ما يقولُ فقال : « إنَّ العالِمَ
الذى يرى قطرةَ الماء فيعلمُ أنها تتركبُ من الأوكسجين
والإيدروجين بنسبةٍ خاصةٍ ، بحيث لو اختلفت هذه النسبةُ
لكانت شيئاً آخرَ غيرَ الماء ، يعتقدُ عظمةَ الخالقِ وقُدْرَتَه
وحكمَتَه وعِلْمَه الواسعَ بأشدَّ وأعظمَ وأقوى من غير العالِمِ
الطبيعىِّ الذى لايرى فيها إلا أنها قطرة ماء فحسب ، وكذلك
العالِمُ الذى يرى قطعةَ البَرَدِ[1] فيرى تحتَ مِجْهَرِهِ[2] ما فيها
من جمالِ الهندسةِ ، ودقةِ التقسيمِ ، لاشك أنهُ يشعر بجمالِ

(١) أى قطعة الثلج الصغيرة النازلة مطراً . للمؤلف .
(٢) المجهر : المنظار المكبر . المؤلف .

الخالِقِ ودقيقِ حِكمتِه أكبرَ من ذلك الذى لا يعلم عنها إلا أنها مطرٌ تجمدَ من شدةِ البَرْدِ » .

وأقوالُ علماءِ الكونِ فى ذلك لا تقع تحت حصرٍ ، وفيما ذكرناهُ الكفايةُ . وإنما استشهدنا بذلك حتى يعلمَ شبابُنا أن دينَهم مؤيَّدٌ من عِند اللهِ تباركَ وتعالى ، لا يزيدُه العِلمُ إلا قوةً وثباتًا وتأييدًا ، مِصداقًا لقولِ اللهِ تعالى : « سَنُرِيهم آياتِنا فى الآفاقِ وفى أنفسِهم حتى يتبيَّنَ لهم أنهُ الحقُّ ، أوَلَمْ يَكْفِ بربِّكَ أنهُ على كل شىءٍ شهيدٌ »[1] .

آيات الصفات وأحاديثها

آيات الصفات وأحاديثها

وردت فى القرآنِ الكريمِ آياتٌ وفى السُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ أحاديثُ توهِمُ بظاهرِها مشابهةَ الحق تبارك وتعالى لِخَلقِهِ فى بعض صفاتِهم ، نُورِدُ بعضَها على سبيلِ المثالِ ، ثم نُقفِّى بذكرِ ما وردَ فيها من الأقوالِ . واللهَ نسألُ أنْ يوفقنا إلى بيانِ وجهِ الحق فى هذه المسألةِ ، التى طال فيها جدَلُ الناسِ ونقاشُهم إلى هذا العصرِ ، وأن يُجَنِّبَنا الزَّلَلَ ، ويُلهِمَنا الصَّوابَ ، وهو حسبنا ونعم الوكيلُ .

---

(١) سورة فصلت آية ٥٣

نماذج من آيات الصفات

من آيات الصفات

١ — قال اللهُ تعالى : « كلُّ مَن عليها فانٍ[1] ، ويبقى وجهُ ربِّك ذو الجلالِ والإكرامِ » .

ومثلُها كلُّ آيةٍ وردَ فيها لفظُ الوجهِ مضافاً إلى الحقّ تباركَ وتعالى .

٢ — قال اللهُ تعالى : « ولقد مننّا عليك مرةً أخرى ؛ إذ أوحينا إلى أمّك ما يُوحَى : أن اقذفيه فى التابوتِ فاقذِفيه فى اليمّ[2] ، فليلقِهِ اليمُّ بالساحلِ يأخذْهُ عدوٌّ لى وعدوٌّ له ، وألقيتُ عليك محبةً منى ، ولِتُصْنَعَ عَلَى عينِى » . وقال تعالى : « وأُوحِيَ إلى نوح أنه لن يؤمنَ من قومِك إلّا مَن قد آمنَ فلا تبتَئِس[3]

---

(١) « كل من عليها » : أى على الأرض « فان » : أى هالك . « ويبقى وجه ربك » : أى ذاته . قال الزمخشرى : والوجه يعبر به عن الجملة والذات ، ومساكين مكة يقولون : أين وجه عربى كريم ينقذنى من الهوان . سورة الرحمن آية ٢٧

(٢) « فاقذفيه فى اليم » : أى فى نهر النيل . « فليلقه اليم بالساحل » : أى بالشاطىء . « ولتصنع على عينى » : أى تربى على رعايتى وحفظى لك . سورة طه آية ٣٩

(٣) « فلا تبتئس » أى فلا تحزن . « واصنع الفلك بأعيننا » : أى بمرأى منا وحيث نراك . وقال الربيع بن أنس : بحفظنا إياك حفظ من يراك . وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : بحراستنا .

بما كانوا يفعلونَ . واصنع الفلكَ بأعْيُنِنَا ووحيِنا ، ولا تخاطبْنِى فى الذين ظلموا إنهم مُغْرقونَ[١] » .

ومثلُها كل آية ورد فيها لفظ العين مضافاً إلى الله تبارك وتعالى .

٣ — قال الله تعالى : « إن الذينَ يبايعونَكَ[٢] إنما يبايعونَ اللهَ يَدُ اللهِ فوقَ أيديهِمْ ، فمن نكثَ فإنما ينكُثُ عَلَى نَفْسِه ، ومن أوْفَى بما عاهدَ عليهُ اللهَ فسيؤتيه أجراً عظيما » . وقال تعالى : « وقالتِ اليهودُ يدُ اللهِ مغلولةٌ[٣] غُلَّتْ أيديهم ولُعِنُوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتانِ ينفقُ كيف يشاء » . وقال تعالى :

---

(١) سورة هود آية ٣٧

(٢) « إن الذين يبايعونك » : أى بيعة الرضوان . « يد الله فوق أيديهم » : أى التى بايعوا بها النبى صلى الله عليه وسلم : أى هو مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها . « فمن نكث فإنما ينكث على نفسه » : أى فمن نقض البيعة فإنما يرجع وبال نقضه على نفسه . سورة الفتح آية ١٠

(٣) « وقالت اليهود يد الله مغلولة » : أى مقبوضة عن إدرار الرزق علينا ، كنوا بذلك عن البخل تعالى الله عن ذلك . « غلت أيديهم » : أى أمسكت عن فعل الخيرات . « بل يداه مبسوطتان » : مبالغة فى الوصف بالجود ، وثنى اليد لإفادة الكثرة ؛ إذ غاية ما يبذله السخى من ماله أن يعطى بيديه . سورة المائدة آية ٦٤

« أَوَلَمْ يَرَوْا أنا خلقنا لهم مِمَّا عملتْ[1] أيدينا أنعاماً فهم لها مالـكونَ » .

٤ — قال الله تعالى : « لا يتخذِ المؤمنونَ الـكافرينَ أولياء من دونِ المؤمنينَ ، ومن يفعلْ ذلك فليس من الله فى شىء إلا أن تتقوا منهم تقاةً ، ويحذِّركُمُ اللهُ نفسَهُ[2] وإلى الله المصيرُ » . وقال تعالى : « وإذ قال اللهُ ياعيسى ابنَ مريمَ أأنتَ قلتَ للناسِ اتخذونِي وَأُمِّيَ إلهيْنِ مِنْ دونِ اللهِ . قال : سبحانَك ! ما يكونُ لى أن أقولَ ما ليس لى بحقٍّ ، إن كنتُ قلتُهُ فقد علمتَهُ تعلمُ ما فى نفسى ولا أعلمُ ما فى نفسِك[3] ؛ إنك أنت علامُ الغيوبِ » .

٥ — قال الله تعالى : « الرَّحمنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى[4] »

---

(١) « أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما » : أى أبدعناه وعملناه بلا شريك ولا معين . والأنعام هى الإبل والبقر والغنم . سورة يس آية ٧١

(٢) « ويحذركم الله نفسه » أى يخوفكم الله إياه . آل عمران آية ٢٨

(٣) « تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك » : أى تعلم سرى وما انطوى عليه ضميرى الذى خلقته ، ولا أعلم شيئاً مما استأثرت به من غيبك وعلمك . سورة المائدة آية ١١٦

(٤) « الرحمن على العرش استوى » : العرش سرير الملك . واستوى قال أبو الحسن الأشعرى وغيره : استوى على عرشه بغير حد ولا كيف كما يكون استواء المخلوقين . وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : يريد : خلق ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة وبعد القيامة . طه آية ٥

ومثلها كل آية نُسب فيها الاستواء على العرش إلى الله تبارك وتعالى .

٦ — قال الله تعالى : « وهو القاهرُ فوقَ عبادِه[١] ويرسِلُ عليكم حفظةً حتى إذا جاء أحدَكُمُ الموتُ توفَّته رُسُلُنا وهم لا يفرِّطونَ » . وقال تعالى : « أأمنتم مَن في السماء[٢] أن يَخسِفَ بكمُ الأرضَ فإذا هي تمورُ » وقال تعالى : « من كانَ يريدُ العِزَّةَ فللهِ العزةُ جميعاً إليهِ يصعَدُ الكلِمُ[٣] الطيبُ والعملُ الصالحُ يرفعُه والذين يمكرونَ السيئاتِ لهم عذابٌ شديدٌ ، ومكرُ أولئك هو يبورُ » .

مما يؤخذ منه نسبةُ الجهة لله تبارك وتعالى .

---

(١) « وهو القاهر فوق عباده » قال القرطبي : القهر : الغلبة والقاهر الغالب . ومعنى « فوق عباده » فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم : أي هم تحت تسخيره لا فوقية مكان ، كما تقول السلطان فوق رعيته أي بالمنزلة والرفعة . « ويرسل عليكم حفظة » : أي ملائكة تحصي أعمالكم « توفته رسلنا » أي الملائكة الموكلون بقبض الأرواح . سورة الأنعام آية ٦١

(٢) « أأمنتم من في السماء » أي أأمنتم من في السماء سلطانه وقدرته . قال القرطبي : وخص السماء وإن عم ملكه ، تنبيها على أنه الإله الذي تنفذ قدرته في السماء لا من يعظمونه في الأرض « فإذا هي تمور » : أي تذهب وتجيء . سورة الملك آية ١٦

(٣) « إليه يصعد الكلم الطيب » : أي إلى الله تبارك وتعالى يصعد الكلم الطيب : أي يعلمه « والعمل الصالح يرفعه » : أي يرفعه الله : أي يقبله . والكلم الطيب : هو التوحيد الصادر عن عقيدة طيبة . « ومكر أولئك هو يبور » : أي يهلك . سورة فاطر آية ١٠

٧ — قال الله تعالى : « إنَّ الذين يؤذونَ اللهَ [1] ورسولَه لعنهم اللهُ في الدنيا والآخرةِ ، وأعدَّ لهم عذاباً مُهيناً » . وقال تعالى : « ومريمَ ابنةَ عِمرانَ التي أحْصَنَتْ فرجَها فنفخنا فيه من رُوحِنا وصدَّقَتْ بكلماتِ رَبِّها وَكُتُبِه ، وكانت من القانتين [2] » . وقال تعالى : « كلاَّ إذا دُكَّتِ الأرضُ دكاً دكاً . وجاء رَبُّكَ والملكُ صفاً صفاً [3] » .

نماذج من أحاديث الصفات

من أحاديث الصفات

وردتْ في الأحاديث الشريفة ألفاظٌ كالتي وردت في الآياتِ السابقةِ ، منسوبةً إلى الله تبارك وتعالى : كالوجه

---

(١) « إن الذين يؤذون الله ورسوله » هم الكفار يصفون الله تعالى بما هو منزه عنه من الولد والشريك ويكذبون رسوله صلى الله عليه وسلم - سورة الأحزاب آية ٥٧

(٢) « التي أحصنت فرجها » أي حفظته من الفواحش « فنفخنا فيه » : أي أرسلنا جبريل فنفخ في جيبها « من روحنا » أي روحا من أرواحنا وهي روح عيسى عليه السلام « وصدقت بكلمات ربها » : أي بشرائعه « وكانت من القانتين » : أي من المطيعين . سورة التحريم آية ١٢

(٣) « دكا دكا » : أي مرة بعد مرة وزلزلت فكسر بعضها بعضاً فتكسر كل شيء على ظهرها « وجاء ربك » أي أمره وقضاؤه « والملك » أي الملائكة « صفاً صفاً » : أي صفوفاً . سورة الفجر آية ٢٢

واليدِ ، ونحوهما ، فنكتفى بالآيات عن ذكرها ؛ وورد فى أحاديث كثيرةٍ ألفاظٌ أخرى من هذا القبيل منسوبةٌ إلى ذاتِ اللهِ تبارك وتعالى نوردُ بعضَها ؛ فمن ذلك :

١ — عن أبى هريرةَ رضى اللهُ عنهُ عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « خَلَقَ اللهُ آدمَ عَلَى صورتهِ[1] طولُهُ ستون ذراعاً ، فلما خلقَه قال : اذهب فسلِّمْ عَلَى أُولئك — نفرٍ من الملائكةِ جلوسٍ — فاستمع ما يحيُّونَك فإنها تحيتُك وتحيَّةُ ذريتك ، فقالَ : السلامُ عليكم . فقالوا : السَّلامُ عليكَ ورحمةُ اللهِ ، فزادوهُ ورحمةُ اللهِ ، فكل من يدخلُ الجنةَ على صورةِ آدمَ ، فلم يزلِ الخلقُ ينقصُ بعدُ حتى الآنَ » رواهُ البخارىُّ ومُسلمٌ .

٢ — عن أنسِ بن مالكٍ رضى الله عنهُ عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تزالُ جهنمُ يُلقَى فيها وتقولُ : هل من مزيدٍ حتى يضعَ رَبُّ العِزَّةِ فيها قدمَه[2]

---

(١) « على صورته » أى على صورة آدم عليه السلام . قال الحافظ العسقلانى : المعنى أن الله تعالى أوجده على الهيئة التى خلقه عليها لم ينتقل فى النشأة أحوالا ولا تردد فى الأرحام أطواراً كذريته ، بل خلقه الله رجلا كاملا سويا من أول ما نفخ فيه الروح .

(٢) « حتى يضع رب العزة فيها قدمه » . قال الزمخشرى : وضع القدم على الشىء مثل للردع والقمع فكأنه قال : يأتيها أمر الله فيكفها =

فيَنزوِى بعضُها إلى بعضٍ ، وتقولُ : قط قط بعزّتك وكرمك ، ولا يزالُ فى الجنةِ فضلٌ حتى ينشئَ اللهُ لها خلقاً فيسكنهم فضلَ الجنةِ » رواهُ البخارىُّ ومسلمٌ .

٣ — عن أبى هريرةَ رضى اللهُ عنهُ قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « للهُ أشدُّ فرَحًا[1] بتوبةِ أحَدِكم مِنْ أحَدِكم بضالّتِهِ إذا وَجَدَهَا » رواهُ البخارىُّ وَمُسْلِمٌ .

انقسم الناس فى هذه المسألة على أربع فرق :

المجسمة وآيات الصفات وأحاديثها

١ — فرقة أخذت بظواهرها كما هى ، فنسبت إلى اللهِ وجها كوجُوه الخلقِ ، ويدًا أو أيدِيا كأيدِيهم ، وضحكا كضحكهم ، وهكذا حتى فرضوا الإله شيخًا ، وبعضهم فرضه شابا ، وهؤلاء هم المُجَسِّمة والمشَبِّهةُ ، وليسوا من الإسلام فى شىء ، وليس لِقولِهم نصيبٌ من الصحةِ ، ويكفى

= عن طلب المزيد فترتدع . وقوله صلى الله عليه وسلم : « فينزوى بعضها الى بعض » أى ينقبض بعضها الى بعض « وتقول قط قط » : أى تقول حسبى حسبى .

(١) « لله أشد فرحاً » . قال النووى : قال المازرى : الفرح ينقسم على وجوه : منها السرور ، والسرور يقاربه الرضا بالمسرور به ، فالمراد هنا أن الله تعالى يرضى بتوبة عبده أشد مما يرضى واجد ضالته ، فعبر عن الرضا بالفرح تأكيداً لمعنى الرضا فى نفس السامع ومبالغة فى تقريره .

فى الردِّ عليهم قولُ اللهِ تعالى : « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ[1] » . وقولُهُ تعالى : « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ ، لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » .

المعطلة وآيات الصفات وأحاديثها

٢ — فرقة عطَّلَت معانى هذه الألفاظِ على أىِّ وَجْهٍ ، يقصدونَ بذلك نفى مدلولاتِها مطلقاً عن الله تبارك وتعالى ، فاللهُ تبارك وتعالى عندهم لا يتكلمُ ولا يسمعُ ولا يُبْصِرُ ؛ لأن ذلك لا يكون إلا بجارحةٍ والجوارحُ يجبُ أنْ تُنْفَىَ عنهُ سبحانه ؛ فبذلك يعطِّلون صفات اللهِ تبارك وتعالى ويتظاهرون بتقديسِهِ ، وهؤلاء هم المعطِّلةُ . ويطلِق عليهم بعضُ علماء تاريخ العقائدِ الإسلاميةِ : الجَهْمِيَّة ، ولا أظن أن أحداً عندهُ مُسْكَةٌ من عقلٍ يستسيغ هذا القولَ المُتَهَافِتِ ! وهاقد ثبتَ الكلامُ والسَّمعُ والبصَرُ لبعض الخلائق بغيرِ جارحةٍ ، فكيفَ يتوقَّفُ كلامُ الحقِّ تبارك وتعالى على الجوارح ؟! تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرا .

هذان رأيان باطلانِ لاحظَّ لهما من النظرِ ، وبقى أمامَنا رأيانِ هُما محلُّ أنظارِ العلماء فى العقائدِ ، وهما رأى السَّلَفِ ورأى الخَلَفِ .

---

(١) سورة الشورى آية ١١

مذهب السلف والخلف فى آيات الصفات وأحاديثها

السلف وآيات الصفات وأحاديثها

٣ — أما السَّلَفُ رضوان اللهُ عليهم فقالوا : نؤمِنُ بهذه الآياتِ والأحاديثِ كما وردت ، ونتركُ بيانَ المقصودِ منها لِلهِ تباركَ وتعالى ، فهم يثبتون اليد والعين والأعين والاستواء والضَّحِكَ والتعجبَ . . . الخ وكلُّ ذلك بمعانٍ لاندركها ، ونتركُ لِلهِ تباركَ وتعالى الإحاطةَ بعِلمها ، ولا سيما وقد نهينا عن ذلك فى قول النبىّ صلى الله عليه وسلم : « تفكَّروا فى خَلْقِ اللهِ ولا تتفكَّروا فى اللهِ فإنكم لن تَقْدُرُوهُ قَدْرَهُ » .

قال العِراقىُّ : رواهُ أبو نعيمٍ فى « الحِلْيَةِ » بإسنادٍ ضَعيفٍ ، ورواهُ الأصبهانىُّ فى الترغيبِ والترهيبِ بإسنادٍ أصحَّ منه ، ورواهُ أبو الشيخ كذلك مع قطعهم رضوان اللهِ عليهم بانتفاء المشابهةِ بينَ اللهِ وبين الخلقِ . وإليك أقوالَهم فى ذلك :

الإمام محمد وآيات الصفات وأحاديثها

(١) روى أبو القاسم اللالكائىُّ فى « أصولِ السُّنة » عن محمدِ بنِ الحسنِ صاحبِ أبى حنيفةَ رضى الله عنهما قال : « اتفقَ الفقهاء كلُّهم من المشرقِ إلى المغربِ على الإيمانِ بالقرآنِ والأحاديثِ التى جاءت بها الثقاتُ عن رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلم فى صفةِ الرَّبِّ عزَّ وجلَّ من غير تفسيرٍ ولا وصفٍ ولا تشبيهٍ ، فمن فسر اليوم شيئا

من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم وفارق الجماعة؛ فإنهم لم يصفوا ولم يفسِّرُوا، ولكن أفتوا بما في الكتابِ والسُّنةِ ثم سكتوا».

الإمام أحمد وآيات الصفات وأحاديثها

(ب) وذكر الخلاَّلُ في كتابِ «السُّنةِ» عن حنبلٍ وذكرهُ حنبلٌ في كُتُبِه مثلَ كتاب «السُّنةِ والمحنةِ» قال حنبلٌ: «سألتُ أبا عبدِ اللهِ عن الأحاديثِ التي تروى «إن اللهَ تبارك وتعالى ينزلُ إلى سماء الدنيا». و«إن اللهَ يرى» و«إنّ اللهَ يضعُ قدمَه» وما أشبه هذه الأحاديث؟ فقال أبو عبدِ اللهِ: نُؤْمِنُ بها ونُصَدِّقُ بها ولا كيف ولا معنى ولا نردّ منها شيئا، ونعلمُ أن ما جاء بهِ الرسولُ صلى اللهُ عليه وسلم حقٌّ إذا كان بأسانيدَ صِحاحٍ، ولا نرد على اللهِ قولَه، ولا يوصف اللهُ تبارك وتعالى بأكثرَ مما وصف به نفسَه بلا حدٍّ ولا غايةٍ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ».

الإمام مالك وآيات الصفات وأحاديثها

(جـ) وروى حرْملةُ بنُ يحيَى قالَ: سمعتُ عبدَ اللهِ ابنَ وَهْبٍ يقولُ: سمعتُ مالكَ بنَ أنسٍ يقولُ: مَنْ وصف شيئا من ذات اللهِ مثل قَوْلِهِ: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مغلولةٌ[1]» فأشار بيده إلى عنقهِ، ومثل قولِه

(١) سورة المائدة آية ٦٤

« وهُوَ السَّمِيعُ البصيرُ[١] » فأشار إلى عينِه أو أُذُنِه أو شيء من يديه ، قطع ذلك منه ؛ لأنهُ شبَّه اللهَ بنفسه . ثم قال مالكٌ : أما سمعتَ قولَ البَرَاء حين حدَّث أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم لا يضحى بأربع من الضحايا وأشارَ البَرَاء بيدهِ كما أشارَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم ، قال البرَاء : ويدى أقصرُ من يَدِ رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فكره البراء أن يصِفَ يَدَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم إجلالاً لَهُ وهو مخلوق ، فكيف الخالق الذى ليس كَمِثْلِهِ شيء ؟ !

الماجشون وآيات الصفات وأحاديثها

(د) وروى أبو بكرٍ الأثْرَمُ ، وأبو عَمْرو الطلمنكىُّ وأبو عبدِ اللهِ بنِ بطَّةَ فى كتبهم وغيرُهم عن عبدِ العزيزِ ابنِ عبدِ اللهِ بنِ أبى سَلَمَةَ الماجِشون كلاماً طويلاً فى هذا المعنى ختمهُ بقولِهِ : « فما وصفَ اللهُ مِنْ نَفْسِهِ فسماهُ عَلَى لسانِ رسولِهِ سمَّيْناهُ كما سمَّاهُ ، ولم نتكلَّفْ منهُ صفة ما سواهُ ، لا هذا ولا هذا ، لا نجحد ما وصفَ ، ولا نتكلَّفُ معرفةَ ما لم يصِف » .

اعلم ، رحمك اللهُ ، أن العصمةَ فى الدينِ أن تنتهِى حيثُ انتهى بك ، ولا تجاوز ما قد حُدَّ لك ؛ فإنَّ من قِوامِ

---

(١) سورة الشورى آية ١١

الدِّينِ معرفةُ المعروفِ ، وَإنكارُ المنكرِ ، فما بسطتْ عليه المعرفةُ ، وسكنَتْ إليهِ الأفئدةُ ، وذكر أصله فى الكتابِ والسُّنةِ ، وتوارَثَ عِلمَهُ الأمةُ فلا تخافنَّ فى ذكرِهِ وصفتِه من ربك ما وصف من نفسِه عيناً ، ولا تكلفنَّ بما وصف من ذلك قدراً ، وما أنكرته نفسُك ، ولم تجد ذكره فى كتابِ ربِّك ، ولا فى الحديثِ عن نبيِّك من ذكر صفة ربك فلا تتكلَّفنَّ علمه بعقلِك ، ولا تصفه بلسانك ، واصمُتْ كما صَمَتَ الربُّ عنه من نفسِه ؛ فإنَّ تكلّفك معرفة ما لم يصف به نفسه مثل إنكارك ما وصف منها ، فكما أعظمت ما جحد الجاحدون مما وصف من نفسه ، فكذلك أعظِمْ تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها ، فقد واللهِ ، عزَّ المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يعرف ، وينكرون المنكر وبإنكارهم ينكر ، يسمعون ما وصف اللهُ به نفسَه من هذا فى كتابِه ، وما يبلغهم مثلُه عن نبيِّه ، فما مرض من ذكر هذا وتسميته من الرب قلبُ مسلم ، ولا تكلَّف صِفة قدره ، ولا تسمية غيره من الرب مؤمنٌ ، وما ذكر عن رسول اللهِ صَلّى اللهُ عليه وسلم أنه سماهُ من صِفة ربه فهو بمنزلة ما سمّى ووصفَ الرّب

تعالى من نفسه ، والرّاسخونَ فى العِلْمِ ، الواقفونَ حَيثُ انتهى بهم علمهُمْ ، الواصِفونَ لربهم بما وصَفَ نفسَهُ ، التاركون لما ترك من ذكرها لاينكرون صفة ماسمّى منها جَحداً ، ولا يتكلّفون وصفه بما لم يسم تعمقاً ؛ لأن الحق ترك ما ترك وسمى ما سمّى « ومَن يتّبعْ غيرَ سبيلِ المُؤمِنِين نُوَلِّهِ مَا تَوَلّىٰ ، ونُصْله جهنّمُ وساءتْ مَصيرا » وهَبَ اللهُ لنا ولكم حكما ، وألحقنا بالصالحين .

مذهب الخلف فى آيات الصفات وأحاديثها

الخلف وآيات الصفات وأحاديثها

قدمتُ لك أنَّ السلَفَ ، رضوانُ اللهِ عليهم ، يؤمنونَ بآياتِ الصفاتِ وأحاديثِها كما وردت ويتركون بيانَ المقصودِ منها لِلهِ تبارك وتعالى مع اعتقادِهم بتنزيه اللهِ تبارك وتعالى عن المشابهة لخلقِهِ .

فأما الخلَفُ فقد قالوا : إننا نقطعُ بأن معانى ألفاظِ هذه الآياتِ والأحاديثِ لا يرادُ بها ظواهرُها ، وعلى ذلك فهى مَجازاتٌ لا مانع من تأويلها ، فأخذوا يؤوّلون الوجهَ بالذاتِ واليدَ بالقدرةِ وما إلى ذلك ؛ هرباً من شبهةِ التشبيه . وإليكَ نماذجَ من أقوالِهم فى ذلك :

١ — قال أبو الفرج بنُ الجوزىُّ الحنبلىُّ فى كتابه

« دفع شبهة التشبيه » : قال الله تعالى : « ويبقى وجهُ ربكَ[1] » قال المفسرون : يبقى ربك ، وكذلك قالوا فى قوله تعالى : « يريدونَ وَجْهَهُ[2] » : أى يريدونه . وقال الضحّاكُ وأبو عبيدةَ : « كلُّ شىء هالكٌ إلاّ وَجْهَهُ[3] » أى إلا هو .

وعقد فى أول الكتاب فصلا ضافياً فى الرد على من قالوا إن الأخذَ بظاهرِ هذه الآياتِ والأحاديثِ هو مذهبُ السلَفِ ؛ وخلاصةُ ما قاله أن الأخذ بالظاهرِ هو تجسيمٌ وتشبيهٌ ؛ لأن ظاهرَ اللفظِ هو ما وُضع له ، فلا معنى لليد حقيقةً إلا الجارحة ، وهكذا . وأما مذهبُ السلَفِ فليس أخذها على ظاهرِها ، ولكن السكوتُ جملةً عن البحثِ فيها . وأيضاً فقد ذهبَ إلى أن تسميتها آيات صفاتٍ وأحاديث صفات تسمية مبتدعة لم ترد فى كتاب ولا فى سنة ، وليست حقيقية فإنها إضافات ليس غير ، واستدل على كلامه فى ذلك بأدلةٍ كثيرةٍ لا مجالَ لذكرِها هنا .

---

(١) سورة الرحمن آية ٢٧
(٢) سورة الأنعام آية ٥٢
(٣) سورة القصص آية ٨٨

الرازى وآيات الصفات وأحاديثها

٢ — وقال فخرُ الدينِ الرازىُّ فى كتابه « أساسُ التقديس » : واعلم أن نصوصَ القرآنِ لا يمكنُ إجراؤها على ظاهرِها لوجوهٍ : الأول أن ظاهرَ قوله تعالى : « وَلِتُصْنَعَ على عينِي[1] » يقتضى أن يكون موسى عليه السلام مستقراً على تلك العين ملتصقاً بها مستعلياً عليها وذلك لا يقولُه عاقلٌ ، والثانى أن قوله تعالى : « وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا[2] » يقتضي أن يكون آلة تلك الصنعة هى تلك العين ، والثالثُ أن إثبات الأعين فى الوجه الواحد قبيح فثبت أنه لابد من المصير إلى التأويل ، وذلك هو أن تُحملَ هذه الألفاظُ على شدةِ العنايةِ والحراسةِ .

الغزالى وآيات الصفات وأحاديثها

٣ — قال الإمامُ الغزالىُّ في الجزء الأول من كتابه « إحياء علوم الدين » عنـد كلامهِ عَلَى نسبةِ الْعِلم الظاهرِ إلى الباطنِ وأقسام مَا يتأتّى فيهِ الظهورُ والبطونُ ، والتأويلُ وغير التأويلِ : القسمُ الثالثُ أن يكون الشىء بحيثُ لو ذُكِرَ صريحاً لفهم ولم يكن فيه ضررٌ ، ولـكن يُكنى عنهُ عَلَى سبيل الاستعارة والرمزِ ؛ ليكونَ وقْعُهُ فى قلبِ المستمعِ أغلبُ . . . ومنه قوله صلى اللهُ عليه وسلم :

(١) سورة طه آية ٣٩

(٢) سورة هود آية ٣٧

« إنّ المسجدَ ليَنزَوِى[١] من النُّخَامةِ كما تنزوِى الجِلْدَةُ على النار » . ومعناهُ أن روحَ المسجدِ وكونَهُ معظماً ، ورميَ النخامة فيه تحقيرٌ لهُ فيضاد معنى المسجدية مضادّة النارِ لاتصال أجزاء الجلدةِ . وأنت ترى أن ساحةَ المسجدِ لا تنقبضُ من نخامةٍ ، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « أمَا يخشَى الذى يرفَعُ رَأْسَهُ قبلَ الإمَامِ أنْ يُحَوِّلَ اللهُ رَأْسَه رَأْسَ حِمارٍ »[٢] وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكونُ ، ولكن من حيث المعنى هو كائنٌ ؛ إذ رأسُ الحمارِ لم يكن بحقيقته وكونه وشكله بل بخاصيته ، وهى البلادةُ والحمقُ ، وَمَن رَفَعَ رَأْسَه قبلَ الإمام فقد صار رَأْسُهُ رَأْسَ الحِمارِ فى معنى البلادةِ والحمقِ ، وهو المقصودُ دونَ الشكلِ . وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليلٍ عقليّ أو شرعيّ . أما العقليُّ

(١) قوله صلى الله عليه وسلم : « إن المسجد لينزوى » أى لينقبض . قال الزبيدى فى شرح الإحياء : قال العراقى : هذا لم أر له أصلا فى المرفوع وإنما هو من قول أبى هريرة ورواه ابن أبى شيبة فى مصنفه . قلت : ورواه كذلك عبد الرزاق موقوفاً على أبى هريرة ، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى نخامة فى المسجد فى القبلة فقال : « ما بال أحدكم مستقبل ربه فيتنخع أمامه ! أيحب أحدكم أن يستقبل فيتنخع فى وجهه ؟ » .

(٢) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة .

فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « قلبُ المؤمنِ بين إصبعين من أصابع الرحمنِ[1] » إذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين لم نجد فيها أصابع ، فعلم أنها كناية عن القدرة التي هي سرُّ الأصابعِ وروُحُها الخفيُّ ، وكَنَى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعاً في تفهم تمام الاقتدار » .

وقد تعرض لمثل هذا الكلام في موضع آخرَ من هذا البحث ، وفيما ذكرناه كفاية .

إلى هنا وضح أمامَك طريقا السَّلَفِ والخلَفِ ؛ وقد كان هذان الطريقان مثارَ خلافٍ شديدٍ بين علماءِ الكلام من أئمة المسلمينَ ، وأخذ كلٌّ يدعمُ مذهبَه بالحججِ والأدلةِ ، ولو بحثتَ الأمرَ لعلمتَ أن مسافة الخلفِ بين الطريقين لا تحتملُ شيئا من هذا لو ترك أهلُ كلٍّ منهما التطرفَ والغلوَّ ، وأن البحثَ في مثل هذا الشأن ، مهما طال فيه القولُ ، لا يؤدى في النهاية إلا إلى نتيجةٍ واحدةٍ ، هي التفويضُ لله تبارك وتعالى ، وذلك ما سنفصله لك إن شاء الله تعالى .

---

(١) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو .

بين السلف والخلف

بين السلف والخلف

قد علمتَ أن مذهبَ السَّلَفِ فى الآياتِ والأحاديثِ التى تتعلقُ بصفاتِ الله تبارك وتعالى أن يُمِرُّوها على ما جاءت عليه ، ويسكتوا عن تفسيرِها أو تأويلها ، وأن مذهب الخلف أن يؤوِّلوها بما يتفقُ مع تنزيهِ اللهِ تبارك وتعالى عن مشابهة خلقهِ ، وعلمتَ أن الخلافَ شديدٌ بين أهل الرأيين حتى أدى بينهما إلى التنابزِ بالألقاب العصبيةِ ؛ وبيانُ ذلك من عدة أوجهٍ :

أولا : اتفقَ الفريقانِ على تنزيهِ الله تبارك وتعالى عن المشابهةِ لخلقهِ .

ثانيا : كلٌّ منهما يقطعُ بأن المرادَ بألفاظِ هذه النصوصِ فى حقِّ الله تبارك وتعالى غيرُ ظواهرِها التى وُضِعتْ لها هذه الألفاظُ فى حق المخلوقاتِ ، وذلك مترتبٌ على اتفاقهما على نفى التشبيه .

ثالثا : كلٌّ من الفريقين يعلمُ أن الألفاظَ تُوضَع للتعبير عما يجولُ فى النفوسِ ، أو يقعُ تحتَ الحواسِ مما يتعلق بأصحاب اللغة وواضعيها ، وأن اللغاتِ ، مهما اتسعت ، لا تحيطُ بما ليس لأهلها بحقائقِه علمٌ ، وحقائقُ ما يتعلقُ

بذاتِ الله تبارك وتعالى من هذا القبيلِ ، فاللغة أقصرُ من أن تواتينا بالألفاظِ التى تدلُّ على هذه الحقائق ، فالتحكمُ فى تحديدِ المعانى بهذه الألفاظِ تغريرٌ .

وإذا تقرر هذا فقد اتفقَ السّلَفُ والخلَفُ على أصل التأويلِ ، وانحصرَ الخلافُ بينهما فى أنَّ الخلَفَ زادوا تحديد المعنى المراد حيثما ألجأتهم ضرورةُ التنزيهِ إلى ذلك حفظا لعقائدِ العوام من شبهةِ التّشبيهِ ، وهو خلافٌ لا يستحقُّ ضجةً ولا إعناتاً .

ترجيح مذهب السلف

ونحن نعتقدُ أن رأى السلَفِ من السكوتِ وتفويضِ علمِ هذه المعانى إلى اللهِ تبارك وتعالى أسلمُ وأولى بالاتباع ، حسما لمادةِ التأويلِ والتعطيلِ ؛ فإن كنتَ ممن أسعدَه اللهُ بطمأنينةِ الإيمانِ ، وأثلجَ صدرَه ببردِ اليقينِ فلا تعدل به بديلا ؛ ونعتقدُ إلى جانب هذا أن تأويلاتِ الخلَفِ لا توجبُ الحكمَ عليهم بكفرٍ ولافسوقٍ ، ولا تستدعى هذا النزاعَ الطويلَ بينهم وبين غيرِهم قديما وحديثا ، وصدرُ الإسلام أوسعُ من هذا كلّه . وقد لجأ أشدُّ الناسِ تمسكا برأى السلَف ، رضوانُ اللهِ عليهم ، إلى التأويل فى عدّةِ مواطنَ ، وهو الإمام أحمدُ بنُ حنبلٍ رضى الله عنه ؛

من ذلك تأويلهُ لحديثِ : « الحجرُ الأسودُ يمينُ اللهِ في أرضِه [1] » وقوله صلى الله عليه وسلم : « قلبُ المؤمنِ بين إصبعينِ من أصابعِ الرحمنِ [2] » وقوله صلى الله عليه وسلم : « إني لأجد نَفَس الرحمنِ من جانب اليمن [3] » .

وقد رأيتُ للإمام النوويّ رضي الله عنه ما يفيد قرب مسافة الخلافِ بين الرأيينِ مما لا يدعُ مجالا للنزاعِ والجدالِ ولا سيما وقد قيد الخلفُ أنفسهم في التأويلِ بجوازه عقلا وشرعاً ، بحيث لا يصطدمُ بأصلٍ من أصولِ الدينِ .

قال الرازيّ في كتابه « أساسُ التقديسِ » : « ثم إن جوّزنا التأويلَ اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلاتِ على التفصيلِ ، وإن لم نجز التأويلَ فوّضنا العلم بها إلى اللهِ تعالى ، فهذا هو القانون الكليّ المرجوعُ إليه في جميع المتشابهاتِ ، وبالله التوفيقُ » .

وخلاصةُ هذا البحثِ أن السّلَفَ والخلَفَ قد اتفقا على أن المرادَ غيرُ الظاهرِ المتعارفِ بين الخلقِ ، وهو تأويلٌ

---

(١) قال العراقي : رواه الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر .

(٢) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو .

(٣) قال العراقي : رواه أحمد من حديث أبي هريرة في حديث قال فيه : « وأجد نفس ربكم من قبل اليمن » ورجاله ثقات .

فى الجملةِ ، واتفقا كذلك على أن كلَّ تأويلٍ يصطدمُ بالأصولِ الشرعيةِ غيرُ جائزٍ ، فانحصرَ الخلافُ فى تأويلِ الألفاظِ بما يجوزُ فى الشرعِ ، وهو هينٌ كما ترى ، وأمرٌ لجأ إليه بعضُ السلفِ أنفسُهم ، وأهمُّ ما يجبُ أن تتوجّه إليه همُ المسلمينَ الآن توحيدُ الصفوفِ ، وجمعُ الكلمةِ ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، واللهُ حسبنا ونعمَ الوكيلُ .

* * *

إلى هنا انتهت تلك الفصولُ التى حررها فضيلةُ الأستاذ المؤلف رضى الله عنه وكنا نود أن يتابعَ فضيلتُهُ الكتابةَ بهذا الأسلوبِ الممتع النفيس حتى يواتينا بما رسمه فى صدر هذه الفصولِ ، فيحدثنا عن النبوّاتِ ، وعن الروحانيات ، وعن السمعياتِ ، كما حدثنا عن الإلٰهياتِ ، ولكن هذا قدَرُ الله ولا رادَّ لقضائه .

رضوان محمد رضوان

فهرس العقائد

لفضيلة الإمام الشهيد الشيخ حسن البنا